فينــوس

رواية

إبراهيم السيد

obeikandl.com

22

ابراهيم السيد

فينوس

رقم الايداع / 16584/ 2014ط1

الترقيم الدولى /١- ٩٣ - ٥٣١١ - ٩٧٧ - ٩٧٨

غلاف / سارة سليمان

حقوق الطبع محفوظة لدى الناشر

ليليت للنشر والتوزيع

الإشراف العام / إيمان سعيد

رئيس لجنة قراءة د/ سالم ابراهيم سالم

مدقق لغوي أ/ محمد فهمي

المراسلات : ٦٠ ش سكينة بنت الحسين

كفر عبده - الإسكندرية

ت : ٠١٢٢٤٢٧٢٣٢٧

: ٠١٠١٧١٨٠٩٣٨

Dar.lilitte@gmail.com

lilettepublishing@gmail.com

www.lilithpublishinghouse.com

obeikandi.com

الإهداء

تلك الرواية إلى كل أنثى وجدت في رجلها .. يوسف

وإلى كل رجل وجد في أنثاه .. فينوس.

إلى روح صديقي أحمد رأفت - رحمة الله عليه -

إلى روح الخالد محمود درويش

من تجلت كلماته فى أرواحنا

فعاشت فينا.

وأخيرًا

إلى من ولدت تلك الكلمات من رحم حبَها

ثم ذهبت .

obeikandl.com

obeikandl.com

افتتاحية

رمادية العينين ، ذهبية الشعر ، بيضاء البشرة ، هكذا هى دون استرسال في وصف الجمال الإلهي ، هذا ما قاله لي بطل من ورق ضل الطريق إلى بيتى ؛ فرأيت كيف ذلك هو وصف محبوبته المليكة .. ملكة من الكلمات كان في زمان ومكان غريبين على عرش الرواية ، صنعت بيد عازف شاب صاغ منها لحنًا فريدًا ، طارحها الغرام بين ثنايا المجاز ، عاش فيها وبها ولها ، رأى فيها العمر الذي مضى والعمر الذي سيأتى.
قلت له: أتحب طيفًا يسكن الورق .

قال لى فى هدوء: لم يكن في حياتى من جمال إلا وكان طيفًا فلم لا أحب طيفها ، على الأقل طيف يسكن مفكرتي خيرًا من طيف يسكن عقلى« ألم تشتهى لقاءً ؟» هكذا سألته فقال : اشتهيت أبعد من اللقاء ، اشتهيت أن يصير بيتى مجازًا .

قلت: سأبلغ عنك ما تقول ؛ حتى تصير للناس أية فقال:لا فرق عندى فأتى شِعرى الذي صِغته ليكون تاجًا على رأسها ، وكناياتى التي أصبحت عصا تعمدت بها لتُعلنها مليكة كل العصور على قلبي ، سكن الطيف ،وعاد إلى الورق ، عاد إلى موقعه كعاشق وعابر سبيل.

obeikandl.com

الفصل الأول

خميس الذكريات

obeikandl.com

obeikandl.com

أنا العاشق السيئ الحظ .. نامى لأتبع رؤياك .. نامى
ليهرب ماضى مما تخافين .. نامى لأنساك .. نامى لأنسى مقامى
على أول القمح في أول الحقل في أول الأرض . نامى
لأعرف أنى أحبك أكثر مما أحبك .. نامى
لأدخل دغل الشعيرات في جسد من هديل الحمام
ونامى لأعرف في أى ملح أموت .. وفي أى شهد سأبعث حيًا
ونامى لأحصى السماوات فيك وشكل النباتات فيك .. وأحصى يديا
ونامى لأحفر مجرى لروحى التي هربت من كلامى
وحطت على ركبتيك لتبكى عليا.

محمود درويش

obeikandl.com

حياة

*****

بداية ليلة دافئة من ليالى صيف شهر أكتوبر ، ليلة خالية من الرطوبة ، وارتفاع درجة الحرارة ، شرفة منزلية في الطابق الحادى عشرمن عمارات المنيل المطلة على النيل تجعل من ليلة الصيف حفلة للهواء العليل و كرسى متأرجح ،وبجانبه طاولة تفوح منها رائحة القهوة الليلية اللازمة لاستكمال اليوم بكامل النشاط .

اليوم هو الخميس يوم الراحة من عذاب أسبوع طويل ، ليلة يجتمع فيها الأصدقاء بعد انشغال كلّ منهم بأعماله وحياته طوال الأسبوع ،ويستعيدون فيها ذكريات الماضى القريب يوم أن كانوا بلا مسئوليات ولا ضغوط يومية ، الحرية فيى أنقى صورها كما كانوا يسمونها واللامبالاة في أسوء صورها ، كما كان يسميها يوسف .

يجلس يوسف بقامته الطويلة وكتفاه العريضان ،وشعره كستنائي اللون على كرسيه المتأرجح ، وفى يده ديوان لمحمود درويش ومقطوعة الجمال النائم لتشايكوفيسكى تملأ الهواء راحة وجمالًا ، هى طقوس نهاية اليوم .. وكيف ينتهى يومه دون قهوة وكتاب ومعزوفة لتشايكوفيسكى أو موزارت أو باخ ؟ هى طريقته الخاصة لنسيان اليوم بكل ما فيه من فرح وحزن فلاشىء يستحق ألا يُنسى .. هكذا يظن !

لم يتخلف يومًا عن طقوسه حتى في أشد أيام العمل تعبًا وإرهاقًا - فلا راحة في العمل طالما أخذت لقب مهندس - فالانظباط أهم ما يميزه ،وتقديس الروتين أهم ما يعيبه .

أغلق الكتاب ووضعه على الطاولة ،ثم ارتشف آخر ما تبقى من فنجان القهوة . سأحتاج كثيرًا من القهوة في نهاية هذا اليوم كى يصفو ذهنى كما كان -هكذا قال يوسف لنفسه - .

خرج يوسف من الشرفة متوجهًا الى حجرة النوم لارتداء ملابسه استعدادًا للنزول للقاء أصدقائه ، الشقة تتكون من أربع غرف . غرفة للنوم وغرفة أخرى للمكتب بها مكتبة ، وغرفة أعدها للزائرين من أصدقائه أو أهله ليبيت فيها وغرفة والده - رحمه الله - التي لم يدخلها منذ توفيّ من سنتين في حادثة سيارة على طريق الموت أثناء رجوعه من السويس إلى القاهرة.

الشقة ورثها عن أبيه ، وقد كان يخطط لتكون شقة زواجه بعد سنة لولا ما حدث اليوم ! عاشق الكلاسيك - كما يصف نفسه - ارتدى بدلة mils سوداء ،ثم نظر في المرآة وقال في نبرة سخرية من نفسه: مفيش داعى لجاكيت البدلة أنا مش رايح أتجوز .

شهر كامل لم تلمس فيه شيفرة الماكينة الكهربائية ذقنه -كالعادة- أمسك وجهه وتفحصه في المرآة كمن يتعرف عن نفسه من جديد ؛فحرارة الشمس قد غيرت لون بشرته ففقد بشرته البيضاء إلى لون آخر لم يعرفه سوى من فتاة تعرف عليها لأول مرة في ستاربكس ، و كان له معها فيما بعد قصة ، قالت له يومها :

- WOOW... أنت لون بشرتك حلو أوى دة etihw-ffo صح ، أنا بموت فى اللون دة .
- أنتى أدرى بقى .. أشكرى الشمس هى اللى خليته كدة بس تعرفى أنا لو أعرف كدة كنت خليته etihw-ffo من زمان علشان خاطرك .

ضحكت الضحكة المعتاد على سماعها من الفتيات حين يلقى عليهم سحره ؛فالضحكة هى الجرس الذى يرن في أذنه ليقول له هيا بنا إلى الخطوة التالية ، يفعل كل شىء في هدوء ورزانة كعازف البيانو المتمرس ،وهو يختار إيقاع خطواته أوكعازف الكمان الذي يختار أفعاله وترًا وترًا.. هز رأسه كأنما يريد أن يُسقِط من التاريخ ما أسماه طيش شباب أو هكذا يسميه جانبًا من نفسه أما النصف الآخر ؛ فيسميه أجمل فترات العمر ، وهل من شىء يرضى غرور الرجل أكثر من معرفته ؟... أنه مرغوب ؟

أمسك الهاتف المحمول ، وطلب صديقه محمود على . محمود على صديق العمر ليوسف

يعرفه منذ أن كانا في المرحلة الابتدائية ، ومن يومها لا يفترقان ، دخلا هندسة القاهرة معًا وتخرجا من نفس القسم قسم الهندسة المدنية ، خططا لحياتهم معًا ، وطوال عمرهم كان كلاً منهما عونًا للآخرفي وقت الشدة والناصح في أحلك المشاكل ، والمعين على تناقضات الحياة .

رد محمود بنبرته المرحة الودودة كالعادة :

- أيوة يا كبير أنت فين ؟
- في البيت لسه هنزل أهو ، اتجمعتوا ولا لسه ؟
- لا يا معلم محدش هينزل النهاردة . خالد صبحى مسافر الغردقة في شغل ، و محمد حسان في شرم الشيخ .
- وبعدين ؟
- نقضيها في بيت حد فينا بقى . تيجى عندى ؟
- لا أنا هنزل أجيب ID لزوم القعدة ،وأنت عدى عليّ فى البيت .
- أنت مش بطلت يابنى بقالك فترة . اية اللى رجعك تانى ؟!
- ياعم لما تيجى هتفهم . هتشرب ولا خايف من مراتك ؟!
- لا ياعم خايف أية ، خلاص قشطة مع أنك هتضيع علينا الليلة ، النهاردة الخميس بقى أنت فاهم .
- ياعم عوضها في ليلة تانية ما أنت بقالك سنة متجوز أهو . اية ماشبعتش ! جت على ليلة.
- خلاص ياعم من غير زق . انزل هات الحاجة على ما أجيلك . سلام .

أنهى المكالمة ليذهب إلى عذاب الشراء ، فالشراء هو آخر شيء في العالم قد يريد يوسف فعله فبعيدًا عن زحام القاهرة الكبرى الخانق ليلًا ونهارًا ؛ فهو لم يعد له القدرة على التكيف مع العيش بهذه الطريقة ، أينما ذهب يتناهى إلى أسماعه بعض الخناقات من سماعات السيارات على أنغام ما يسمونه موسيقى ؛ ليقدم إلى المستمع ملحمة عظيمة تسمى الأغانى الشعبية الحديثة !

obeikandl.com

عزلة تامة فرضها يوسف على نفسه طواعيةً منذ وفاة والده ؛ فمنذ سنتين لم يقرأ جرائد ولم يشاهد تلفزيون. مختارًا البعد عن الحياة إلا في عالمه هو!

لم يكن اختيارًا سهلًا بالمرة ،لكنه كان لابد منه وساعده على ذلك أصدقائه الذين لم يتركوه يمضى بمفرده ،ويعيش وحيدًا و كذلك لم تتركه حبيبته سمر وحيدًا طوال تلك الفترة ... إلا اليوم !

obeikandl.com

ذكرى اللقاء الأول

*****

النيل كما يسميه يوسف هو دواء النسيان لكل شيء ، وأيضًا عدم النسيان ! تأتى إلى النيل لتنسى العالم المحيط بك بكل أوجاعه وأحزانه وأفراحه . تأتى لتُلقى بكل شيء وراء ظهرك وتتأمل نفسك للحظات قد تطول أو تقصر ، لكن في النهاية لن ترى إلا داخلك .

على النيل كان أول لقاء له بسمر ؛ففي نادى النقابة بالزمالك رأها لأول مرة . تلك الفتاة التي تخطف عيناك وأذنك وحواسك جميعها من أول نظرة . تفتن بذلك القوام الذي يشبه – كما يسميه المتخصصون بأمور النساء – شجرة موز . تفتن بالحضور الجذاب والروح المرحة ، تفتن بذات العينين اللوزيتين ،والبشرة القمحية الفاتحة والشفتين المكنزتين كالفراولة يتوجهم شعر بنى فاتح

اللون كالتاج على رأس الملكة . الأنوثة كما يعشق أن يراها تتجسد فى امرأة واحدة .

"دائمًا لا يخطئ حدسى تجاه النساء ؛ فتلك الفتاة مختلفة " هكذا قال لنفسه في أول لقاء بها .

وكما تشاهد في أفلام الحب كيف أن الصدف السعيدة تجمع اثنين لم يكن بينهم أى معرفة سابقة ؟ وكيف يشاء القدر أن يلتقيا ، وأن يتحدثا وأن يكون فيما بعد بينهم قصة تروى لمن يأتى بعدهم من العشاق ؟ هكذا التقى بها ، كانت متأخرة عن حفلة عيد ميلادها حين رآها لأول مرة ، الحفلة التي أعدها لها صديقاتها والتي كانت على مقربة من مكان جلوسه منتظرًا محمود على الذي لم يأتَ في ذلك اليوم - لحسن الحظ طبعًا- طوال الحفلة راقبها دون أن تشعر بذلك المتطفل على حفلتها ،والمقتحم لعالمها

ومحيطها الخاص وقد أذى ذلك كبريائه بشدة !

انتهت الحفلة وكان محمود قد اتصل ؛ ليعلمه أنه لن يستطيع الحضور اليوم لظروف تجهيزات شقة زواجه ، " رايح للنار برجليك..وكمان بتجرى " هكذا أغلق معه المكالمة في سخرية لما هو مقبل عليه ، ويستعجله.

ودعت صديقاتها ، وقالت بأنها ستبقى لبعض الوقت مع نفسها ، وكأن القدر ينسج كل الظروف ؛ ليتاح له فرصة المحادثة الأولى وأيضًا للصدمة الأولى !

قامت من على مقعدها ،وبدأت في حزم الهدايا وشنطتها الخاصة ،وبدأت في الانصراف .

قال في نفسه : " هى دى اللحظة المناسبة " .

اتجه نحوها ، ووقف أمامها لكنه وقف متسمرًا .. لا يتكلم ، خانته لغته لأول مرة في حياته.

لم يتسمر أمام فتاة من قبل لكن هى ليست ككل النساء ، نظرت اليه في استغراب ، وقالت في لهجة استنكار : أى خدمة ؟! ارتبك يوسف لأول مرة في حياته ، وقال والعرق يتصبب من جبينه ، وما خفى من جسده :

- لا أبدًا ... أنا .... أنا شفتك شايلة حاجت كتير قولت أجى أساعدك ..... ممكن ؟!
- ومين قالك إنى محتاجة مساعدة !!
- افترضت كدة .
- لا متشكرة مش محتاجة مساعدة من حد ... عن إذنك .

ذهبت ... راقبها أثناء خروجهان وهو متصلب كالشجرة ممتدة الجذور لا يبارح موضعه . ملأ عينيه بقوامها ، وأنت تراها لاتملك سوى أن يتدافع في رأسك ألحان كثيرة : "عجبًا لغزال قتال عجبًا ..يخطو بدلال ؛فيثير الشهبا " "يا ذا القوام السمهرى ..حاوى الرضاب السكرى " .

كان يعلم بتأثيره الجارف على النساء بشعره المتوسط الطول ،وقامته الطويلة وكتفاه العريضان ، ووجهه المستدير المزينان بحاجبين كثيفين فوق عينين عسليتين.

كان يعلم أن حضوره قوى ، لكنها الأنثى الأولى التي تقول له لا ، في تلك اللحظة عرف أنها الفتاة المختارة بين النساء .. علم أنها فتاته بلا شك ، شىء مميز في هذه الفتاة لا

يعرفه ، شيء جذبه إليها منذ وقعت عيناه عليها .

هل فتن بها ؟! لا يعلم ، كل ما يعلمه أنه لا يريد سوى أن يراها مرة أخرى ، ويتحدث إليها مرة أخرى ، يريدها وهذا يكفى .

- 10 أزايز يا باشا ؟
- أية ... أة ... 10 أزايز ... أتفضل الحساب .

كان لابد من أحد ليخرج يوسف من ذكرى اللقاء الأول وقد فعل البائع .. خرج من المحل وركب سيارته عائدًا إلى الشقة ؛ لكى ينتظر محمود على .

obeikandl.com

محادثة النصف ساعة

*****

دوائر .. دوائر .

وصل يوسف للمنزل ؛ ثم أفرغ زجاجات ال DI على الطاولة . صنع منها دائرتين من الزجاجات المليئة بدواء الواقع . الغياب عنه .

لم يمضِ وقت حتى سمع جرس الباب " لابد أنه محمود " . قام من مكانه وفتح الباب مستقبلًا محمود بالترحاب. محتضنين بعضهم ؛ فهذا أول لقاء منذ شهرين .

بدأ محمود الحوار قائلًا :

- أيه يابنى فينك كدة مختفى ليه ؟ !
- الشغل بقى ياعم محمود .. انت عامل ايه ،وابنك يوسف عامل ايه ؟!
- يعنى انت كنت جيت سألت عليه ؟!
- ايه لزمة التأنيب دة ياعم .
- ما انت شهرين بتنفضلنا علشان سمر .. ايه محدش مصاحب غيرك .. ما انا متجوز أهو ، وبنزل مع العيال كل خميس زى ما اتعودنا .
- ياعم وربنا كنت بقضيه لوحدى ، ولا كنت بخرج معاها ولا بتاع . افتح إزازة .

أراح بظهره على ظهر المقعد ،وهو يقول :

- لا ياعم ، أنا جاى أقعد معاك نص ساعة ،وهمشى .
- أشمعنى ؟!
- مسافرين بكره عند أهل مراتى في المنصورة ،ومش عايز أروح متأخر وسكران كمان .

بلغة غاضبة :

- طيب .
- ايه بقى في ايه ؟!
- مفيش ... سيبنا بعض.

انتفض من المفاجأة ،وقال فزعًا :

- نعـم !!! سبته بعض ليه وازاى ؟!
- الموضوع طويل ،ومش هينفع أحكيه فى نص ساعة لما ترجع من المنصورة نبقى ننزل نقعد ،وأحكيلك كل حاجة .
- أحكيلى دلوقتى .
- لا ... دلوقتى مش هينفع .. زى ماقلتلك لما ترجع .

والدهشة تملأ عينيه :

- براحتك !...مالك يابنى ؟!
- مالى !!
- أنت عاجبك الحالة اللى أنت فيها بقالك سنتين دى !
- أنا مستريح كدة.
- بص لنفسك في المراية .. شوف صورك القديمة ،وبص لنفسك دلوقتى.
- الشكل مش كل حاجة . أنا لسه زى ما أنا .
- كداب .. فين المُناظر الاشتراكى اللى كان أيام الكلية . فين النشاط اللى كان جواك ؟ !
- كان .
- يعنى مفيش أمل تتغير!!
- الأمل في التغيير مات من زمان . بالنسبالى وبالنسبة للمجتمع .
- هى كانت عارفة أنك ربوبي[1] ؟!
- لآ .

(1) ربوبي : يؤمن بوجود الله ،ولا يؤمن بالديانات السماوية.

obeikandl.com

- وكنت هتتجوزها ازاى ؟!
- جواز مدني أو أى حاجة .كنت هتصرف ساعتها .

وقد اكتمل اندهاشه لما تحمله تلك الجلسة من صدمات :

- أنت واعى أنت بتقول ايه .
- بص ، أنا مش واعى لحاجة دلوقتى خالص ، ودماغى واقفة .
- طيب . أنا هسيبك دلوقتي ، وهكلمك بكرة على الساعة واحدة ؛ لأن واضح أن قدامك ليلة طويلة بالأزايز دى كلها .
- ماشى .
- سلام يابني .

قام لكي يودعه حتى الباب ،ولكنه قال :

- مفيش داعى ياعم أنا عارف الباب فين.
- ماشى .

غادر محمود الشقة ، وترك يوسف ليصارع نفسه ، يخوض الإنسان معارك لا متناهية في حياته ، لكن أكثرها شراسة تلك التي يخوضها مع نفسه ، أراح يوسف ظهره على الأريكة ، وبدأ يفتح أولى الزجاجات.. بدأ في محاولة النسيان ، لكنه تذكر.

obeikandl.com

الزجاجات العشر

*****

على أنغام أم كلثوم بدأ المفاوضات مع الذاكرة .. بدأ يفاوض الذاكرة على النسيان!

الزجاجة الأولى:

أمسية شاعرية على ضفاف النيل ،و ضوء القمر تطوق ذراعاه العاشقين اللذين يحتفلان بعيد حبهما الأول .

لا يحتفلان مثل الجميع بالفلانتين ؛فلهما عيدهم الخاص الذي لا يشاركهم فيه أحد .

معزوفة سوناتا ضوء القمر على دقات أصابع البيانو -كما طلب- يغطى صوتها صوت العشاق المتهامسين بذكريات جنون الحب ، ولا يزال .

يحبان الهارمونى في الموسيقى الكلاسيكية ، ويعشقان الشجن في الموسيقى العربية ، لكن اليوم مناسبة خاصة جدًا .لابد لها من مقطوعة فريدة كسوناتا ضوء القمر.

في أول عيد ميلاد لها معه ، أهداها جرامفون ومعه إسطوانة للسيمفونية التاسعة لبيتهوفين ، وكتب على الإهداء :

" أهدى أعظم سيمفونية كتبت في تاريخ البشر لأحلى امرأة في تاريخ البشر ، وكما قال البعض

لقد خلق الله الدنيا ليؤلف بيتهوفين سيمفونيته التاسعة فأنا أقول : لقد خلق الله الدنيا لتسمعى أنتِ تلك السيمفونية .... أحبك ".

قطع النادل تلاقى الأعين ، والنظرات حين قال : " تأمرنى بحاجة تانى يافندم ".

أجاب يوسف : متشكر جدًا .

obeikandl.com

عاد يوسف لينظر مباشرة إلى عينى سمر ، وقال لها :

- كل عام وأنتى حبيبتى .
- نزار بقى وكدة .
- اة وكاظم الساهر كمان مش البنات بتموت فيه زى ما بتقولى .
- بس أنا بموت فيك أكتر .

أسند ظهره إلى الكرسى ، وقال بلهجة ماكرة :

- ما أنا عارف على فكرة.
- أنت رخم على فكرة .
- برضة عارف على فكرة .

نظرت إلى باقة الورود الحمراء التي تتوج الطاولة وقالت :

- توليب هولندى أحمر...كالعادة .
- طبعًا .. التوليب دا الوردة الوحيدة اللي بتوصفك ... مميزة ونادرة.

احمرت وجنتاها من كلامه مما زاد وجهها إشراقًا وأنوثة ،ونظرت إليه تلك النظرة الفاتنة التي يعشقها وغاص في عينيها ؛حتى غرق .. ثم قال :

- عارفة بيقولوا ايه معنى الفتنة في الجمال ؟

هزت رأسها بأن لا تعرف ؛فأكمل :

- الفتنة في الجمال أنى أعشق عينيكى دون أن أعرف لونهما .

اقتربت من وجهه ،ونظرت مباشرة إلى عينيه ،وقالت بصوت هامس ساحر :

- طب أنا لون عينى أيه ؟

هنا قالت أم كلثوم :

" حبيبى...دا انا مخلوق علشانك يادوب عشانك..عشانك أنت... وقلبى ... قلبى عاش على لمس حنانك ..يادوب حنانك .. حنانك أنـت " .

obeikandl.com

الزجاجة الثانية :

دقات الساعة تعلن عن انتصاف النهار ،وكذلك قرابة انتهاء العمر ؛ ففى حجرة من حجرات المنزل الواسعة يرقد يوسف ذو الخمسة أعوام بجوار أمه سعاد ذات الثلاثون عامًا .

كان الطبيب قد أمر أن تأخذ سعاد راحة كافية هذه الأيام ،وطلب الانفراد بالأب لدقائق أخبره فيها أن أيام سعاد في الدنيا معدودة ،وأن الأمل في الشفاء أصبح مستحيلًا ولا فائدة من الذهاب إلى المستشفى.

ربت على يديه ، وقال في لهجة أسى :

- " شد حيلك . ربنا يتولاها برحمته " .

هناك في الغرفة ، وعلى سرير المرض اعتدلت سعاد في نومتها ،وأسندت ظهرها إلى ظهر السرير ؛ لتضم ابنها إلى صدرها ؛فمن يدرى لعلها تكون المرة الأخيرة اليى ستستطيع فيها أن تضم صغيرها ، وتحس بدفء جسده وتلمس أصابعه الصغيرة .

هذه هى الحياة لا أبدية فيها سوى للسعادة ،ولكن حتى السعادة لم تحصل عليها إلا في الأوقات التي تجلس فيها إلى ابنها يوسف تلاعبه ،أو تقرأ له قبل أن يغلبه النوم .

وهو في أحضان حنان أمه ،قال في صوت ضعيف :

- أية أحلى حاجة حصلتلك في الدنيا يا ماما ؟
- أنت يا حبيبى طبعًا .
- وأيه أسوء جملة سمعتيها في حياتك ؟
- أسوء جملة سمعتها في حياتى " الست مالهاش إلا بيت جوزها ".
- يعنى إيه يا ماما ؟
- مش مهم يا حبيبى معناها إيه اللى عايزاك تعرفه ، وتخليه زى حلقة في وادنك أنك اوعى تزعل مراتك في يوم من الأيام ، اوعى تنام في يوم جنبها ، وانتوا لسه متخانقين ، الصبح مايطلعش عليك وأنت زعلان معاها ، مهما حصل بينكوا اوعى تمد إيدك عليها .. فاهم .

obeikandl.com

هنا قالت أم كلثوم: " فات الميعاد وبقينا بعاد .. والنار بقت دخان ورماد..فـــات الميعاد".

*****

الزجاجة الثالثة :

نهار ملبد بالغيوم يحجب أشعة شمس الشتاء عن إضافة الدفء لهذا المشهد المهيب ، حزن عميق في القلوب يجعل من برودة الشتاء آخر ما يفكر فيه المشيعون.

تلك الأصابع الصغيرة المتشبثة بيد والدها ، لم تعرف أى المشاعر أجدر أن يُشعر بها اليوم ، الحزن أم احترام الموت !!

ما هو الموت ؟!

كان هذا السؤال المحير هو ما يشغل بال يوسف ذو الخمسة أعوام الممسك بيد والده .

لماذا لن أرى أمى ثانية يا أبى ؟! إلى أين رحلت ؟! من هو الله ؟!

أسئلة لا متناهية يطرحها الصغير ؛ فكلما أعطاه والده إجابة لسؤال سأل سؤالًا آخرًا .

لماذا يطرح الأبناء على الأباء ؟ كل تلك الأسئلة اعتقادًا منهم أن كل أب يملك الإجابة عن كل الأسئلة أم أنه فقط فضول المعرفة !!

أسئلة كبرى لم يفكر فيها الأباء أو تجنبوا التفكير فيها ، ولكنهم يجدون أنفسهم في حاجة إلى إعطاء أبنائهم إجابة عن هذه الأسئلة ، ولكن يبقى السؤال الأكبر بلا إجابة ... ما هو الموت ؟!

تتعالى أصوات النساء المودعات للفقيدة التي عاجلها الموت في الثلاثين من عمرها ، لتترك ابنها ذو الخمسة أعوام وحده في غابة الدنيا بلا حنان .

" أصدق حب في الدنيا هو حب الأم لابنها " كانت هذه آخر جملة خرجت من بين شفتى أمه قبل أن تغيب في صمت أبدي. لم يعرف الصغير له سبباً .. ماذا حدث لأمى ؟! لماذا لا ترد عليّ ؟!

أخذ يهز أمه في عنف في محاولة يائسة ؛ لكى يجد منها ردًا لكن الأوان قد فات ..فهى لن

تأخذه بين أحضانها مرة أخرى ،و لن تقرأ له قبل النوم مرة أخرى . لقد ذهبت وإلى الأبد .
انتشلته خالته من مسرح الجريمة التي قام بها ملك الموت بعد أن شهد بنفسه على وقوع أركانها ، ظل بعدها يرتجف ،وهو متعلقًا بكتفى خالته واضعًا رأسه بين نهديها.
أما الأرجل فكانت تتوالى دخولًا وخروجاً من حجرة والدته .. لماذا لا أدخل أنا أيضًا ؟!
سؤال لم يجد له جوابًا سوى الصمت ، أو النهى دون سبب .
تذكر يوسف كل تلك التفاصيل ، وهو واقف في الصف أمام المقابر بجوار والده ، وهو يتلقى العزاء من الحاضرين لهذا المشهد..مشهد الوداع الأخير .
سمعت أذناه الصغيرتان الكلمات نفسها في كل مرة يأتى فيها أحد ليعزى والده "البقاء لله " .
" شد حيلك " . " البقية في حياتك " .. كلمات لم يعرف الصغير لها معنى ، ولم يحاول أن يفهمها ؛ فهو لا يستوعب الموقف كله ؛فكيف يفهم هذه الكلمات !!
كانت هذه أولى الصدمات التي تعرض يوسف ، وبعدها توالت الصدمات عليه لتتغير حياته كلها..هنا تدخلت أم فى كلثوم فى حديث الذاكرة لتقول :
" بعيد عنك حياتى عذاب .. متبعدنيش بعيد عنك ".

*****

- الزجاجة الرابعة :

توقف فيض الذاكرة عن السيلان ،وأخذت الذكريات استراحة من معركة النسيان أو بالأحرى التذكر ، وبدأت الأصوات تتعالى في رأسه .
الصراع الأزلي بين الخير والشر . بين الشك والثقة . بين حسن النية وسوءها . بين الملاك والشيطان !
تدافعت الأصوات كحوار بين يوسف وكائنات وهمية لا يراها ، بل يسمعها فقط . سمع صوتًا ناعمًا يشبه صوت الواعظ يقول له :

- انتظر المعجزة ؛ فهى أتية بكل تأكيد ، ولكن يجب أن تتغيير أنت أولاً .

رد عليه صوت غليظ خشن يشبه صوت الوسوسة الشيطانية بقوله :

- كفى هراءً . كف عن سماع هذا الحالم ،وعد إلى واقعك فلا شيء من ذلك سيجدى نفعًا ، وستظل في عالمك وحيدًا .
- كف أنت عن صب أفكارك المسمومة في رأسه المحترقة فما أرى نهاية ذلك إلا الموت .
- سنرى من سينتصر في النهاية أفكارك المائعة الحالمة أم أفكارى الواقعية الداعية إلى التكيف مع الأمر الواقع ؛فها أنت مرة أخرى تصب في رأسه أفكار حالمة عن عودة الحبيبة مرة أخرى . ألا تعى ما فعلت ؟! . كفى عشقًا فلسنا سوى عابرى سبيل بلهاء قد ظنوا أن الحياة ستمدهم بالمحبة ،والاهتمام ليكملا طريقهما إلى السعادة الأبدية ، لكنها ليست سوى أكذوبة ساقها لنا كاتبى العشق على مر العصور ؛ لنبقى في سجن الهوى مدى العمر . كفى حلمًا أيها العاشق .

سكن الصوتان في داخله مؤقتًا ؛ليعلنا عن انتهاء الصراع لهذا اليوم وفي انتظار مرات أخرى يقتسماه فيها كما يفعلان دائمًا ؛ فهو لا يعلم هل هذا صوت ملاكه والآخر صوت شيطانه أم أن أحدهما صوت عقله والآخر هو صوت قلبه ؟ كل ما يعرفه أنه لا يستطيع التوقف عن سماع تلك الأصوات ؛ حتى تعود على وجودها وصارا جزءًا من حياته التعيسة القلقة .

قاطعت أم كلثوم آخر جرعة في الزجاجة الرابعة ، وهى تقول :

" كنت بشتقلك وأنا وأنت هنا .. بينى وبينك خطوتين .. خطوتين .. شوف بقينا إزاى .. أنا فين وأنت فين .. والعمل .. أيه العمل .. ما تقولى أعمل أيه.. والأمل .. أنت الأمل .. تحرمنى منك لية ؟! ".

- الزجاجة الخامسة :

طاولة في ركن بعيد من مطعم يطل على البحر في الإسكندرية ؛ فلا شتاء يمر دون أن يذهب يوسف إلى الإسكندرية ؛ فكما يقول من يحب الإسكندرية حقًا يذهب إليها شتاءً وليس صيفًا.

هذا هو الشتاء الأول ليوسف مع سمر لذلك أراد أن يأخذها إلى مطعمه المفضل ؛ ليكون مطعمها المفضل أيضًا ، أهى الديكتاتورية في الحب ؟ أن تأخذ حبيبتك إلى مكان تحبه وتريد منها أن تحبه أم أنه الجمال في الحب أن يحب حبيبك المكان لمجرد أنه ذهب إلى هناك معك .

يجلسان متقابلين ،وأيديهما متلاصقة وقلبهما متعانقان .

بنبرة ضاحكة .قال يوسف :

- تيجى نلعب لعبة حلوة ؟
- لعبة أيه ؟
- كل واحد يأخد ورقة ،ويكتب أول أبيات شعر تيجى على دماغه دلوقتى.
- موافقة.

أخرج من حقيبته ورقتين ، أعطاها واحدة ووضع أمامه الأخرى ، ثم بدأ كلاً منهما في الكتابة ، انتهيا منها ، ثم وضع كلاً منهما ورقته أمام الآخر ليقرأها ، قرأت سمر ما كتبه يوسف :

" يطير الحمام

يحط الحمام

أعدى لى الأرض كى أستريح

فإنى أحبك حتى التعب

وأنتى الهواء الذى يتعرى أمامى كدمع العنب

وأنتى بداية عائلة الموج حين تشبث بالبر

حين أغترب
وأنتى بداية روحى وأنتى الختام ".

محمود درويش

وقرأ يوسف ما كتبته له سمر :
" رزقت مع الخبر حبك
ولا شأن لي بمصيري
ما دام قربك
فكن في سمائي كما أنا في سمائك
كن يا غريب الموشح لي مثلما أنا لك
مائي لمائك
ملحي لملحك
واسمي على اسمك تعويذة قد تقربنا من تلال سمرقند ".

محمود درويش

ضحك كلاً منهما لـ الآخربعد أن تأكدا أنه الوقت المناسب ؛ ليصبح ما بينهما رسميًا ، وطلب يوسف من سمر أن تحدد له ميعاد مع أبيها ؛ ليطلب يدها منه .
هنا اختتمت أم كلثوم الزجاجة الخامسة بقولها :
" زرعت في ظل ودادي غصن الأمل وأنت رويته .. وكل شيء في الدنيا دى وافق هواك أنا حبيته ".

obeikandl.com

- الزجاجة السادسة :

توجه يوسف إلى جهاز اللاب توب ،وأوقف صوت أم كلثوم على أمل أن يندمل جرح الذاكرة ، ويتوقف نزيف الذكريات ، لكن لا الجرح شفى ولا النزيف توقف ، بل عادت الذكريات لتدق باب الواقع لتهبط على سلم الأحلام إلى أفق الوهم . وهم الحنين .

ترنح يوسف في مكانه ؛فوقعت الزجاجة من يده ،وسالت كما سال جرح قلبه .

تذكر يوم الأمس وما كان فيه . كل شيء كما حدث يومها يتجسد أمامه ،كما يتجسد أمام المشاهد على خشبة المسرح .

يجلس يوسف في مكانه القديم في ستاربكس واضعًا سماعتى الأذن ، وصوت لطفى بوشناق يحول محيط الطاولة إلى عزلة عن كل شيء ؛ فيقول :

- " نور من الله سواها لنا بشرًا ، كساها حسنًا ،وجملها وحلاها ؛ فإن عبدتها لا إشراك بالله ؛ لأننى فى هواها أعبد الله ".

حين جاءت فتاة وضعت يدها على كتفه ،ثم اقتحمت محيط طاولته المحصنة . جلست أمامه واضعةً وجهها مقابلًا لوجهه ،وقالت في دلال زائد :

- أيه الصدف السعيدة دى . أنا لو أعرف أن يوسف بحاله لسه بيجى ستاربكس .كنت جيت من زمان .
- منى..أزيك.. لا أنا جيت بالصدفة . كنت معدى وقلت أدخل أشرب قهوتي ، وأمشى على طول .
- يبقى ليا نصيب إنى أشوفك ...أنت وحشتني أوى .
- منى...مفيش داعى للكلام ده.
- ومفيش داعى ليه . أنا بقالى فترة كبيرة مأعرفش عنك حاجة ، الموبايل غيرت رقمه ، والفيس بوك مابقتش تقتح ؛ حتى صاحبك محمود مش بيرد عليا .
- قلتلك مفيش داعى للكلام ده .

أمسكت بيده واقتربت أكثر من وجهه ليلامس عطرها قسمات وجهه ، وقالت بصوت هامس :

- أنا لسه بحبك ... بحبك أوى.
- يبدو أن أنا جيت في وقت مش مناسب .

سحب يده من يد منى بسرعة ؛فمن كانت تقف خلفهما هى سمر . كانت شاهدة على ما حدث ، ولكن متى وصلت ،وفى أى جزء من الحوار قد ظهرت ؟!

هل سمعته وهو يبتعد عنها أم رأته فقط في لحظة الضعف تجاه أنوثة منى المتفجرة ؟

انتفض من كرسيه ،وقال بلهجة سريعة وأنفاس متقطعة كمن خرج لتوه من حلبة سباق :

- سمر ، مفيش حاجة من اللى في دماغك دى.
- قولى الأول أنت من إمتى ،وأنت رجعت تانى تيجى ستاربكس .
- أنا جيت بالصدفة . قولت أخد قهوتى ،وأمشى على طول .
- شوف الصدف يأخى . أنا كمان لولا هند صاحبتى قالتلى تعالى نقعد شويه نشرب حاجة مكنتش شوفت اللحظة الشاعرية دى .
- سمر . ماحصلش حاجة .
- كل دة و ماحصلش حاجة ...كنت مستنى تبوسها ولا أيه !
- سمر !!

هنا تدخلت منى ،وقالت بلهجة نصف فرحة ،ونصف شامتة :

- أستأذن أنا .

ردت سمر في عصبية :

- لأ و تمشى ليه يا حبيبتى . أنا اللى همشى .
- رايحة فين ؟!
- انسى يا يوسف ... انسى سمر .

ذابت الرؤية .. بدأ صداع رهيب يتشرب من تصدعات الذاكرة إلى العقل . صداع يمر من بين الثقوب التي أحدثها سيل الذكريات . " وداونى بالتى كانت هى الداء " ، عاد يوسف إلى الطاولة ، وأخذ من عليها زجاجتين ومضى إلى غرفة نومه في صعوبة بالغة ؛ فمتى يجتمع الشيء وضده يكون الدمار .

وصل يوسف إلى غرفة نومه ، وجلس على طرف السرير وفتح زجاجة لعله يحصل على شفاء من هذا الصداع المؤلم ، رفع الزجاجة على فمه وشرب بنهم ... تجرع الزجاجة كلها على مرة واحدة ، قام من على طرف السرير ، ومضى إلى المرآة ، نظر فيها بتمعن شديد وقال :

- " أنت مين ".

أحس بدوار كبير ، وطرق برأسه لا يهدأ ثم أخذ يترنح في الغرفة ؛ حتى وقع على وجهه وغاب عن الوعى .

obeikandl.com

الفصل الثاني

فينوس

obeikandl.com

obeikandl.com

هذه السطور كتبت كما رأها يوسف ، وعلى لسانه ، وبتعبيراته الخاصة.

ولو استطعت ملكت عمرك ساعة ،ودقيقة منذ الولادة
حتى محاولة انتحارى حول خصرك
وسرقت نعناع الطفولة من خطاك وشرق شعرك
ولو استطعت قتلت من رسموا فراشة ركبتيك
وشاهدوا الحجل المراوغ فوق صدرك
ولو استطعت لكنت عبدًا ، أو إلهًا في ممرّك
وأعدت تكوين الخليقة كى أكون الموجة الأولى لبحرك
والصرخة الأولى لبرّك.

محمود درويش

obeikandi.com

obeikandl.com

« ١ »

ظلام يحيط بى من كل النواحى .. ظلام حالك لا أتبين فيه حتى يدى .

أين أنا ؟!

هل مت ؟!

هل أنا الآن في عالم ما بعد الموت ؟! هل ألاقي حسابي عما فعلته هناك في الدنيا ؟!

ولو كان ذلك حقًّا نوقد مت فعلاً فهذا الظلام لا يوحى بخير أبدً ،أ بل بشر عظيم على روحى التى من الواضح أنها روحًا آثمة .

أين ملائكة الحساب أو فلتقل ملائكة العذاب ؟!

يا لروحى البائسة التي سعت دائمًا إلى تلك اللحظة ،ولم تقدم شيئًا لكى تصل إلى مسعاها وها هى النهاية تأتى إلىّ على حين غرة منى .

من هناك الآن في الدنيا يبكى على فقدانى! من يندب الآن قدر السماء ،ومن يبتسم في داخله فرحًا ويبدى حزنًا في خارجه ؛ لكى يراعى مشاعر الآخرين !

من يتذكر ذكريات جميلة عاشها معى ، ومن يتذكر أسوء ما فيّ ؟!

هل يحزن الجميع الآن على فراقي ؟!

كم تمنيت في حياتى أن تتاح لى الفرصة لمشاهدة يوم مماتى. كم تمنيت أن أعلم من سيسكب الدموع أنهارًا حزنًا على فراقى ، ومن سيفرح لرحيلى عن عالمه ؟ كم تمنيت أن أرى الناس على حقيقتهم حتى ولو لم تنفعنِ معرفتى تلك بشيء ..حتى لو آن الأوان قد فات .

ومن يدرى لربما تكون إحدى مزايا الموت ألا تعلم عن الدنيا شيء ؛ فكفانا بها قبل الممات ولا حاجة لنا بها بعد الممات ، ها قد أتيت أيها الموت ،ولكنى أعترف أنك كنت على حق فـ « الحب لم يكن بريئًاً قط ".

ها قد أتيت أيها الموت دون موعدًاً ؛ فهذا أنت دائمًاً ما تخطفنا في أوقات لا نحسبها ولكننا حين نعيد التفكير نرى ألا هناك وقت أكثر مثالية من ذلك الميعاد ؛لنذهب في تلك الرحلة الأبدية .

هذا أنت أيها الموت تنتشلنا إما من ظلمة الحياة إلى نعيم الخلود أو من نعيم الدنيا ؛ لنواجه الحق ونحاسب على ما اقترفت يدانا هناك في دنيا البشر ، وفى الحالتين سنرى الحق والعدل اللذين افتقدناهم هناك فى الدنيا .

- كف عن تفسيراتك الفلسفية للموت والحياة.
- أنت ثانية ؟! أنت موجود فإذًا أنا لم أمت ؛ فأين أنا إذًا ؟!
- أنت ميت فعلاً ،لكن ليس بمعناك الناقص عن الموت بخروج روحك التعيسة .. أنت ميت من الداخل .
- كف عن ذلك أيها الشيطان ،واتركه ليتبين الأمر .

عاد الصراع الداخلي ثانيةً إذًا فأنا مازلت حيًا ، ولكن أين أنا ؟!

آخر ما أذكره فوضى الذكريات ،والزجاجات العشر في صالون شقتى ؛ فما هذا المكان ! انتشلتنى بقعة نور من تساؤلاتى اللامتناهية .. بقعة ضياء تقترب منى أكثر ؛فأكثر حتى تبينت مصدر الضوء .

شعلة!

شعلة من النار ! ما هذه المزحة السخيفة ؟!

رأيت من يحمل الشعلة كهل عجوز يقترب من السبعين من عمره ..بدت تجاعيد وجهه بسبب الشعلة المسلط ضوئها عليه ، اقترب منى ، وأنا ملقى على الأرض وجلس على ركبتيه وقال :

- من أنت أيها الفتى ؟!

- أنا يوسف .. أين أنا ؟!
- أين أنت !! أنت على فينوس .

ضحكت ضحكة عالية من تلك المزحة التي ألقاها لتوه ، لكنه قال لى فى هدوء :

- ما الذى يضحكك يا فتى ؟
- اعذرنى لكنى لم أستطع منع نفسى من الضحك .. هل تعلم من أين أنا ! أنا من الأرض ! الأرض ؛ فكيف غادرت كوكبى وأصبحت هنا في فينوس على حسب زعمك ، وهل يوجد على فينوس حياة من الأساس ؟!
- بما أنك ترانى الآن أمامك فلابد أن هناك حياةلا تصدق كل ما تراه عيناك فما بالك بما لم تراه بعينيك .
- أما موضوع انتقالك إلى هنا فهذا أمر آخر سنناقشه فيما بعد. أما الآن فقم معى إلى منزلى ؛ حتى لا تتجمد في هذا الصقيع.
- حسنًاً أيها العجوز.

ساعدنى العجوز على النهوض من موضعى ، ومضينا نتلمس خطانا عبرالظلام كشريكين فى رحلة إلى المجهول .

الأفكار تعصف بى .. هل هذا حلم أم حقيقة ؟! وما الحلم وما الواقع ؟هل ما كنت فيه من حياة بائسة هو الواقع ؟ أليس من الممكن أن تكون تلك فرصة لميلاد جديد وحياة جديدة ؟!

فرصة تنتشلنى من العذاب والضياع في حياتى السابقة ؛لكى أعيش عيشة هنيئة في مكان آخر حتى ولو لم يكن على الأرض .. إلى الآن لا أعلم كيف حدث ذلك؟ وكيف يمكننى أن أعود إلى بيتى ثانيةً؟ فهل سأظل هكذا مشتت التفكير غير مصدق لما حدث وتضيع منى حياتى مرة أخرى ؟

" عش اليوم ولا تنظر إلى غدًا .. تمتع بحاضرك ،وإن كانت آخر لحظة في حياتك ؛ فأنت تستحق السعادة في كل لحظة .. السعادة التي افتقدتها هناك في دنياك السابقة فلا تضيعها هنا .

ابحث عنها وحارب لأجلها ؛ فالميلاد الجديد لا يأتى سوى مرة واحدة وللمحظوظين فقط صدقت رغم أنى لم أكن يومًا من المحظوظين في حياتى السابقة ،ولكن لما التذمر! يبدو أن الدور قد حان ، وها أنا أصبح عضوًا فيمن يُطلق عليهم المحظوظين . أى مغفل أنا!

انتشلنى العجوز من هاوية الأفكار السحيقة كالبئر الذي جف منه الماء حين قال باسمًا :

- ها قد وصلنا .

تسمرت قدماى على الأرض ،ولم أتحرك قيد أنملة من الدهشة.

- أهذا بيتك ؟!
- إنه بسيط نوعًا ما ، لكنه سيعجبك . هيا فلتدخل.

قالها العجوز بثقة كبيرة ،ولا أدرى على أى شىء بنى هذه الثقة ؛ فمهما كان ما بُنى عليه ثقته ألم يستطع بدلًا منها أن يبنى بيتًا أكثر أمانًا !

لقد رأيت نفسى أُدعى إلى الدخول إلى كوخ من الخشب متهالك بفعل حرارة الشمس والرطوبة والأمطار .. كوخ لا تأمن على نفسك ،وأنت تقف بجانبه فما بالك وأنت بداخله !

داعبنى العجوز قائلًا :

- لا تخف أيها الفتى ؛ فهذا الكوخ يأوينى منذ سنين .
- أنا مرتبك بعض الشىء ؛ فقد تعودت على نوعية أخرى من المنازل .
- بالطبع يا فتى ،لكن لا تستعجل في حكمك على المدينة فليست كل البيوت كبيتى ، والآن هل ستظل عندك ؟حتى ينخر البرد عظامك ، فلتدخل .

كان الجو باردًا بالفعل بدرجة كبيرة ففى حياتى لم يسبق لى أن أحسست بهذا الجو على الأرض ، دخل العجوز أولاً ، ودخلت في أثره ،وبدأ يشعل باقي المصابيح النارية . ما هذا الحلم الإغريقى الذى أعيش فيه ؟!

من الداخل كان الكوخ بسيطًا كما توقعت . بعض الأثاث البسيط يفى بالغرض . منضدة بسيطة أمامها كرسيان ومدفئة وسرير من النحاس .

أشعل العجوز المدفئة فيما جلست أنا على الكرسى المقابل للمنضدة ، ثم قال لى العجوز

- لابد أنك تشعر الجوع.

- لا لست كذلك . أشكرك أيها العجوز . أريد فقط أن أنام.
- حسناً يا فتى . نم الآن ونتحدث في الصباح .

ناولنى العجوز غطائين فرشت أحدهما على الأرض ، والآخر تلحفت به ونمت .. نمت نومًا عميقًا لم أنم مثله من قبل !

فى الصباح كان كل شيء معدًاً .. جلسنا أنا والعجوز نتناول طعام الإفطار الذي لم يختلف كثيراً عن ما نأكله في الأرض .

سألنى العجوز لكسر حاجز الصمت بيننا :

- ماذا تعمل ؟
- أنا مهندس . أعمل في مجال البناء ،ولكن اعذرنى فأنا حتى الآن لا أعلم اسمك.
- يدعوننى في المدينة بالحكيم . يمكنك أنت أيضًاً أن تدعونى به ، وتكف عن مناداتى بالعجوز .

احمر وجهى خجلاً ؛فقد كنت أعلم أن مناداة أى شخص بالعجوز يضايقه ، لكني لم أكن أعلم لقبًاً آخر أدعوه به . انتبه العجوز إلى حرجى ؛فأراد أن يخفف على فقال :

- لا تبتئس يا فتى ؛ فأنا لست من الرجال المهوسين بالعمر والرغبة فى العيش ؛ فالشيب ليس بكبر السن إنما بضعف قدرة العقل على الانتباه وتوقف القلب عن الإحساس ، والحواس عن الشعور . كم من أناس شاخت قبل بلوغهم حتى الثلاثين من عمرهم ،وربما أقل . الشيب الحقيقى هنا وهنا- مشيراً بيده إلى قلبه ثم عقله- احفظ ذلك يا فتى.
- صدقت .

طرقات على الباب ،وصوت يقول " صباح الخير أيها الحكيم .. هل أنت بالداخل ؟ " قام الحكيم من مكانه متجهًاً ناحية الباب ، وهو يقول لى " لابد أنه أنفريوس " ، فتح الباب ؛ فظهر شاب في الثلاثين من عمره بشرته سمراء ،وشعره خشن يرتدى عباءة تغطى أحد كتفيه وتعرى الكتف الآخر مما جعل صدره نصف عاريًا ، الآن اكتمل الفيلم

obeikandl.com

الإغريقى - هكذا قلت لنفسى- .

دخل الشاب ،ونظر إلى ثم نظر إلى الحكيم وضحك ضحكة عاليه قائلًا للحكيم :

- من هذا المهرج أيها الحكيم ؟!

obeikandl.com

«٢»

كانت هذه المرة الأولى التي أشعر فيها بالغضب منذ وطأت قدمي أرض فينوس ؛ فمن هذا الشاب غير المكترث الذى يدعونى بالمهرج ؟ أكان ملبسي هو ما يدعوه إلى ذلك ؟!

عاجله الحكيم بلهجة غاضبة :

- تأدب يا أنفريوس أنه ضيفى.

تغيرت ملامح وجهه من السخرية إلى الأسف وقال :

- سامحنى يا خالي.
- لا تعتذر منى ،ولكن اعتذر لمن أخطأت في حقه.

توجه إليّ أنفريوس كما دعاه الحكيم وابتسامة على وجهه :

- أعتذر منك بشدة .
- لا بأس.

مد يده إليّ مصافحًاً مبتسمًاً ، وهو يقول :

- أرجو أن تكون تلك بداية صداقة بيننا .. أنا أنفريوس .
- على الرغم من أنها ليست بالبداية الموفقة ،ولكن لا بأس .. وأنا يوسف .

هنا تدخل الحكيم في الحوار مخاطبًا أنفريوس :

- يوسف من كوكب الأرض .. مازال الغموض يحيط حول الطريقة التي أتى بها إلى هنا .
- كوكب الأرض! أتقصد ذلك الجسم الذي ينير في السماء ليلًا..أهو من سكانه ؟!
- نعم .. والآن قم يا يوسف مع أنفريوس في جولة لترى المدينة ،وتستمتع

obeikandl.com

بهواء الصباح العليل .

مضيت مع أنفريوس ؛ فقد كنت فعلاً في حاجة إلى استنشاق بعض الهواء ،وكأن الحكيم قارئ لـ الأفكار ! كما كان عقلي في حاجة لمساحة من التفكير.

عبرت مع أنفريوس الكثير من الطرقات ؛ حتى وصلنا إلى قلب المدينة ،وحين سألته عن السبب قال لى إن الحكيم قد اختار حياة العزلة عن صخب المدينة منذ وقت طويل .

مررنا على حدائق فاكهة وموالح ومشاتل رائعة ؛ فرائحة الهواء مليئة بروائح الورد الجميل ، وروائح الفاكهة الطازجة .

فينوس .. الطبيعة الخضراء الساحرة التي لا تستطيع عينيك أن تحيد عن جمالها أينما ذهبت ، وكأنك في قطعة من الجنة .

وصلنا إلى سوق المدينة .. السوق ملئ بكل ما تشتهيه نفسك من طعام وشراب ،وقطع القماش والحرير والجلود والملابس والأثاث وحتى الخمر .

وبينما نحن في السوق نشترى للحكيم أغراضه التي طلبها ، ويعرفنى أنفريوس على بعض أهل المدينة والتجار .. ظهر عند كوزموس تاجر الحرير بدرًا منيرًا .

كانت على بعد خمسة عشر خطوة منى .. قمرًا لم أرَ مثله من قبل .. قال الشعراء في وصف الجمال أبياتًا لا حصر لها ، لكنها فاقت كل بيوت الشعر وكل المعلقات ،بل وفاق جمالها كل جمال على الأرض سبق وأن رأيته أو حلمت به.

حورية من الجنة هبطت من السماء تشفى القلوب ،وتريح العيون .. لمحتها وذبت في تفاصيلها وخمائلها .. من وجه شديد البياض كأنه الثلج هبط على قلبى ؛ ليبرد نارًا هاجت في الضلوع كالنار في الهشيم إلى حاجبين ،كسيفين يزينان عينان رماديتان واسعتان سهامهما أصابتنى في مقتل !

إلى أنفها المسلوب في خفة بين العينين ؛ليصل إلى شفتين رفيعتين تذهبان العقل وتسلبان الإرادة ،

وتاج الجمال شعرها المنسدل على صدرها ، كسلاسل من الذهب يزينان فستانها الوردى

اللون العارى من بداية كتفيها ؛حتى بداية تكور مرمرها .

قوام ممشوق يتهادى كوردة تتمايل مع الشمس .. ياالله ماهذا الجمال الذي لم أحسب أن عينى سترى مثله يومًا من الأيام .. ملاك هبط من السماء ليملأ الكون جمال وروعة .

قطع أنفريوس سقوطي في هاوية جمالها بصياحه مناديًا :

- يوسف ...يوسف.
- ها ... أنفريوس ... لماذا تصيح هكذا ؟!
- رأيتك سارحًا هائمًا .. إنها ابنة الرئيس.

اصطنعت الاستغراب من قوله ،وقلت بلهجة مترددة :

- من تقصد ؟!
- من أقصد!! تلك الحسناء التي لم ترفع عينيك عنها ... تدعى فينوس وهى ابنة الرئيس موليس .
- أها .. أتقصد هذه الفتاة ؟ نعم .. نعم .. رأيتها . إنها جميلة فعلاً مثلما تقول .
- لا تلعب معى . لقد رأيت عينيك .. أول ما يفضح المرء هما عينيه ،وأرى أنك قد فتنت بجمالها .. لا تنكر ياصديقى ؛فمن لم يحركه جمال فينوس من قبل !

لم يكن هناك داعى لـ الإنكار ؛ فقد فضحتنى عيناى مثلما قال أنفريوس :

- لن أنكر من ذلك .. إنها رائعة بكل ما تحمله الكلمة من معنى .. أنا لم أرَ في حياتى أجمل منها ،ولا أعتقد أني سأرى من هى أجمل .

ضحك حتى بانت أسنانه ،وقال في صوت مشبع بالضحك :

- هذه نار جمالها..انتظر لترى نار طباعها .

صدقنى بعد ما رأيته في عينيك ؛ فأنى متأكد أنك ستصبح أسيرها.

- ياليتنى أظل أسير هاتين العينين الرائعتين.

ضحك ثانية ،ولكن هذه المرة أعلى وأقوى :

- يبدو أنك شاعر.
- نعم .. ولو كان باستطاعتى لصنعت من الكلمات نهرًا تغتسل فيه ، أو صنعت

obeikandl.com

من الشعر عقداً تتزين به ، أنا أرى في وجهها ألف وجه للقمر.

تغير صوته كمن ضاق صدره - بدون سبب فيما أرى - وقال :

- حسنًا .. حسنًا .. دعنا نعود الآن للحكيم ،واترك لى مهمة لقائك بها .

فى طريق عودتنا إلى كوخ الحكيم حكى لى أنفريوس عن الحكيم ، وعن ثورة فينوس ودوره فيها ، وكيف رفض الحكيم أن يصبح رئيسًاً شرفيًاً للبلاد ، بل واعتزاله الحياة والعيش في هذا الكوخ البسيط في أطراف المدينة .

كما حدثنى عن نفسه ،وعن قرابته للحكيم وعن زواجه منذ ستة أشهر وانتظاره وزوجته أول مولود لهما ،وعن عمله بالزراعة في أرضه التي حصل عليها مثل الكثير من الفلاحين بعد مصادرة أراضى طبقة الفساد قبل الثورة ، كما حدثنى عن أحلامه في المستقبل .

كان أنفريوس في غاية الود أثناء الحديث معى ،وفاض في الحديث كصديق حقيقى ،وكأننا نعرف بعضنا البعض منذ زمن وليس منذ أقل من ساعتين ، كما أسعدتنى كثيرًاً نظرته المتفائلة عن الحياة ،وما يحمله المستقبل وإصراره على تحقيق أهدافه ،ومشاركته الفعالة في ثورة فينوس وزواجه السعيد الهانئ من امرأة يعشقها .

ما أجمل تلك الحياة التي يمتلكها أنفريوس . كم تمنيت مثل تلك الحياة ،وفشلت في إيجادها لكنى سأجدها هنا في فينوس .. حتمًاً سأجدها .

مثلما كان أنفريوس في غاية الود معى أثناء حديثنا مثلما كان أهل فينوس ممن عرفنى عليهم أنفريوس وقدمنى إليهم ، لكنه قد حمانى من تلك العبارة " من هذا المهرج " عندما أعطانى عباءة مثل التي يلبسونها. كان قد اشتراها قبل أن يأتى للحكيم .

كانت العباءة مناسبة نوعًا ما ؛حيث كان مقاسنا متقاربًاً نوعًاً ،وأن كنت أنا أضخم قليلاً.

مضى الوقت سريعًاً أثناء عودتنا ،وساعد على ذلك هيامي بذات الوجه الدائرى والعينين الساحرتين التي سلبتنى كل قواى ،وكل دفاعاتى المحصنة.

أعجبت بنساء جميلات كثر من قبل ، لكن فينوس ليست كأى أنثى أخرى .

وصلنا إلى كوخ الحكيم ،ودق أنفريوس على الباب .. مضت بضع ثواني ؛ حتى أقبل

الحكيم وفتح لنا الباب . دخلنا وأغلق أنفريوس الباب من ورائنا ،ثم رفع الحكيم رأسه وقال لى :

- يجب أن تذهب غدًاً ؛ للقاء الرئيس موليس فقد أرسل يستفسر منى عنك .
- ولكن كيف علم بوجودى بهذه السرعة ؟!

هنا تدخل أنفريوس في الحوار قائلاً :

- لابد أن أحدًاً رآك معى في السوق اليوم ، وأبلغه بوجود غريب في المدينة .
- لكن فيما يريدنى ؟!

قال الحكيم في صوت ملأه الهدوء ،والاطمئنان :

- مالك قد تجهمت يا فتى .. لاتخف فالرئيس موليس شخص حكيم ،وعادل ولابد أنه أرسل في طلبك ليتعرف عليك ؛ فلا تخف .

هززت رأسى موافقًاً على كلامه ،وكذلك فعل أنفريوس .

لم يكن إرسال الرئيس موليس في طلبى هو ما يزعجنى ،لكن ما شغل بالى هو ماذا سأقول لو قابلت الفاتنة فينوس ؟ ماذا سأفعل أمام هذا الجمال ؟ هل ستفضحنى عيناى ثانية ،أم بإمكانى الإخفاء ؟!

obeikandl.com

«٣»

الثورة هى قدر الشعوب الحرة . تقام ضد الظلم والجهل والفساد .

لقد عانى شعب فينوس كثيراً خلال الثلاثين عامًا المنقضية من ظلم وفساد ،وطبقة حاكمة تحتكر في يدها كل الأراضى الزراعية .أما الفلاحون فكانوا يعملون كالعبيد في حقولهم .

إذا نظرت إلى أحياء الأغنياء وأحياء الفقراء. تستبعد أن يكون كلاهما على نفس الكوكب ، وليس فقط أنهم في نفس المدينة .

المرض والفقر والجهل كان يعيش في أحياء الفقراء ؛فقد كانوا يعيشوا في أكواخ من الخشب لا تحميهم من المطر . على النقيض كنت تجد قصور الأغنياء في أحيائهم الخاصة تملأها حياة الترف والبزخ والمجون أيضًا !

ثار شعب فينوس على كل مظاهر الظلم .. على من يسمون أنفسهم بالطبقة الحاكمة .

ثار الشعب على من ظن نفسه فوق البشر .. ثار الشعب على من ظن أنه ملك مفاتيح الدنيا وما عليها ، وأنه خليفة الله على الأرض في استعباد البشر ،وأعطى لنفسه سلطة الحياة والموت والغنى والفقر والصحة والمرض ..ظنوا أنفسهم أنداد لـ الآلهة .. ظنوا أنفسهم ظل الله على أرض فينوس بإشارة منهم تصبح في النعيم وبإشارة تصبح فى الجحيم .

منذ عامين أفاق شعب فينوس من سباته العميق ،وحطم جدران الخوف وعلق أرباب الظلم على أبواب المدينة . قد تم إعدام الملك ووزيره المختار الفاشي الذى ملأ فينوس فسادًا ودمارًا . أما القصور فهى الآن شواهد على أن عصر الظلم. لابد له من نهاية وأن

لكل ظالم نهاية مهما طل الزمان ؛ فكما قال الحكيم :" يموت الطاغية بنفس الطريقة التي يحلم بها " .

تم الاحتفاظ بالقصور على حالتها. لم يمسها يد مخرب أو طائش ،وفى المقابل انتهى عصر أكواخ الخشب وعيشة الفقر والمرض ،ورزق شعب فينوس بملك عادل وعيشة هنيئة فقطفوا ثمار الثورة المباركة بعد صبر وتحمل للصعاب .

موليس .. رئيس فينوس بعد اختيار الثوار له ؛ ليحكم فينوس بالعدل والمساواة فلاتفرقة ولا محسوبية .

اختار موليس وزيره الأعلى أنديموس ؛ ليكون المسئول أمامه عن إدارة أمور الدولة ومستشاره الموثوق فيه لذكائه الحاد الذي طالما ظهر في كثير من المواقف الصعبة .

موليس وأنديموس كانا من أشرس المعارضين لنظام تيرانوس المستبد القمعى ،وقادوا ثورة الفلاحين على الطبقة الفاسدة ، وبعد انتهاء الثورة بسقوط نظام تيرانوس وإعدامه على جرائمه فى حق شعب فينوس. تم ترشيح موليس ليكون رئيساً لفينوس وبالطبع لم يجد موليس أفضل من أنديموس ليكون وزيره الأعلى ومساعده في تصريف شئون الدولة ؛ ليبدأ عصر من الحرية والعلم والعدل استحقه شعب فينوس ،ودفعوا ثمنه غالياً من دمائهم فالحرية ثمنها غالٍ لكنها قدر الشعوب فى النهاية .

بدأ العصر الذهبى لفينوس بمحاكمة الملك السابق تيرانوس ومستشاره. محاكمة علنية أفضت بتقديمهم إلى المقصلة في أول إعدام علنى يحدث على أرض فينوس ، ثم تلى ذلك محاكمة العديد من رموز الطبقة الفاسدة ،ومصادرة أموالهم وأراضيهم الزراعية وحيواناتهم ،وحكم بالسجن على من ثبت عليه تهم اعتداء على مواطنين بالتعذيب وتم القصاص من من ثبت عليه تهمة القتل.

وبذلك نجحت ثورة فينوس نجاحاً لا مثيل له ، وقضت على كل جذور الفساد والظلم الذي كان مستشري في أرض آلهة الحب .

المسار الصحيح للثورات يعطى الثورة مجداً فوق المجد ونجاح فوق النجاح .. يكسبها

تعاطف وتأييد المترددين ، وبعد مرور الوقت يكسبها تعاطف المعارضين لها فى بدايتها .
ليس الأهم أن تنتقم من الحاكم أياً كان ما فعله ،لكن الأهم أن تحقق للشعب ماثاروا من أجله . الأهم ألا تستبدل ملك ظالم علنًا بملك ظالم متخفٍ تحت ستار الثورة .
الحكيم هو مثال لمن يقال عنهم طائفة الزاهدين فى الحكم ..مناضل عاش حياته كلها مدافعًا عن حقوق الفلاحين ، ودفع ثمن ذلك غاليًا ؛ فقضى أوقات طويلة فى السجن معتقلاً لمطالبته بالعدل ، ولم ينتهِ الأمر عند ذلك ولكن تم إعدام ولده الوحيد بعد اتهامه بالتخطيط لقتل الملك ؛ فلم يكن من الصعب عليهم إيجاد الشهود التى تثبت عليه التهمة مما لا يدع مجالاً للشك .
أما زوجته فلم تحتمل صدمة إعدام ولدها الوحيد واعتقال زوجها ؛فلحقت بابنها بعد عدة شهور ذاقت خلالها المعاناة فى أشد صورها من تضييق في العيش بكل السبل الممكنة ؛فقضى عليها الحزن . لكن هذا لم يكسر عزيمة الحكيم ولا كفر يومًا بقضيته وقضية شعب فينوس ،بل زادت عزيمتة وطموحه إلى أن خفت شعلة ثورته الداخلية التى كانت المحفز لكثير من حوله مع تقدمه فى السن ، وانزوى على نفسه فى كوخه الواقع فى أطراف المدينة ؛منتظرًا أن يقابل زوجته وابنه لينعم بالحياة التى حرم منها ، لكن القدر كان رحيمًا ولم يمت قبل أن يحصد ثمار عمله وجهاده ، ويرى فينوس التى حلم بها .
قامت الثورة ونجحت واقتلعت النظام من جذوره ، وأعدم الملك وعندما عرض على الحكيم أن يكون رئيسًا شرفياً للمدينة تقديرًا لجهوده وكفاحه رفض ، وكان عزائه أنه أكتفى بأن زمن الخوف مضى ، وأن غيمة الظلم قد انقشعت وظلام الجهل انتهى وبدا فى الأفق نور العدل وشمس الحرية .
رفض المنصب ،واكتفى بوضع اسمه بأحرف من نور فى تاريخ فينوس الحديث ،وقال أن ينتظر لقاء أحبته فى الممات ،ولا حاجة له فى الدنيا .
عاد إلى كوخه أو بالأحرى صومعته يمر عليه ابن اخته أنفريوس كل يوم فى الصباح . يخرج معه إلى السوق ليشترى حوائجه بإصرار من الحكيم أن يأتى معه ؛ ليتفقد بنفسه

أحوال الناس ويطمئن على معيشتهم .. هذا هو الحكيم . هذا هو المثل الأعلى لشباب فينوس الذين لا يزالوا إلى اليوم يتحاكون بمواقفه المعارضة البطولية فى وجه الظالم تيرانوس وإن كان أخوه !

obeikandl.com

«٤»

هل يتغير الحب والجمال والأخلاق الإنسانية بتغير الزمان والمكان ؟

راودتنى كثيراً أفكار عن العودة بالزمن لا أعرف سبب واضح لها إلا الرغبة في تجربة العيش في عوالم أخرى ، لكن بعد ما رأيته في فينوس وأسلوب الحياة الذي يعود إلى عصور ما قبل المسيح ومعاملة الناس الرقيقة الرائعة والجمال الإلهى الذي رأيته فى وجه فينوس تبادر إلى ذهنى السؤال المحير : هل تنحدر أخلاق الناس وتقسى طبائعهم وتزيد حدة معاملاتهم مع مرور الزمن ؟ هل يقل جمال الخلق وجمال الروح بمرور الزمن ؟!

ما اكتشفته في فينوس أن الإجابة ... نعم!

أمضيت ليلتى أفكر في مقابلة الغد .. أفكر في غريبة الحسن .. الحورية التي أنا على وشك الوقوع في شباكها في الغد .. لم يخطر في بالى أننى من الممكن ألا أراها في الغد كما أتمنى ولا أتمنى !

ذلك لأنى على أرض فينوس قد تعلمت التفاؤل ؛ ففى فينوس ما ترجوه تجده أمامك فلما أضيع وقتى بممارسة عادتى السقيمة في رصد الاحتمالات ، ووضع سيناريوهات في حالة مقابلتها أو عدم مقابلتها .. عادة سقيمة صاحبتنى طوال سنواتى على الأرض كانت حياتى خلالها لعبة شطرنج كبيرة مارست فيها كل قدراتى الاستنتاجية والتحليلية .مما حول حياتى إلى جحيم أرضى لا يُطاق!

فما أصعب من إنسان يعيش حياته كلها يحلل أفعال بشر هم أنفسهم في كثير من الأحيان لا يجدوا تفسيراً لأفعالهم تلك !

حاولت أن أستفيد بأخطاء الماضى ،وصببت اهتمامى على تجهيز مقولاتى السحرية لذات

الجمال الإلهى .. فينوس ... أميرة القصر ... أميرة الماضى والحاضر والمستقبل .. ضياء القمر الذي يعوض أهل فينوس عن عدم وجود قمر لكوكبهم .

استيقظت من نومى مبكرًا ؛لكى أجد وقتًا كافيًا للتحضير لتلك المقابلة المرتقبة .

أنا يوسف في حضرة رئيس فينوس ،وقائد ثورتها والحاكم العادل .. موليس .

ارتديت الجلباب الذي أعطانى إياه أنفريوس بالأمس ؛فشعرت وكأنى أحد آلهة الإغريق ! لم أشعر بطول الطريق ،ولا بما مررت عليه هنا وهناك من مناظر لتركيزى في أمر تلك المقابلة ، وأمر فينوس .. ملكة جمال فينوس .

عندما وصلت إلى بوابة القصر انبهرت بالعمارة اليونانية الطابع التي تزين القصر ؛ فالأعمدة الدائرية البيضاء والسلالم التي تؤدى إلى بوابة القصر كلها مظاهر إغريقية .

عندما تنظر إلى قصر الحاكم يدور في ذهنك أسئلة كثيرة عن علاقة اليونانيين القدماء بفينوس ؛ فهم من أطلقوا عليها هذا الاسم ؛ فهل فينوس هى المدينة الفاضلة التي حلم بها أفلاطون ؟ هل كانت فينوس مستعمرة يونانية ؟ هل جاء اليونانيون من فينوس من الأساس ؟ مشاهد إغريقية كاملة التكوين .. أسئلة كثيرة متشابكة لم أجد من يرد عليها .

صعدت السلالم المؤدية لباب القصر ؛ فعاجلنى الحارس على الباب:

- ماذا تريد ؟
- جئت لمقابلة الحاكم بناءً على طلبه.
- من أنت ؟
- أنا يوسف .

انحنى الحارس في احترام ،وفتح الطريق أمامى ،وقال بلهجة لطيفة :

- الحاكم موليس في انتظارك ياسيدى . تفضل للداخل وسيصحبك أحد خدام القصر إلى قاعة الحاكم موليس .

دخلت من باب القصر فوجدت خادم أمام الباب ، كأنه كان فب انتظارى منذ الصباح أو عرافًا علم بموعد حضورى !

- من هنا يا سيدى .

في سراديب القصر رأيت الكثير من التماثيل والتحف الفنية ،ولكن ما أثر انتباهى بشدة تمثال لإلهة الجمال والحب فينوس عند اليونانيين ، وأيضاً تمثال لأخيل .

من أنتم أيها القوم ؟! هل أنا في فينوس أم أعيش في فيلم أمريكى عن سنوات الإغريق العظيمة ؟ ! أم عدت بالزمن ؟! هل عدت إلى عصر الإسكندر الأكبر ؟!

هممت أن أستفهم من الخادم عن أصل كل تلك التماثيل ،وكيف جاءت إلى هنا ؟ ومن أين لهم أن يعرفوا فينوس وأخيل وغيرهم ؟ لكنى تأخرت قليلاً ؛فقد كنا وصلنا إلى باب حجرة الحاكم .

ودعنى بإبتسامة رائقة ،وتركنى أستأذن على الحاكم في الدخول .

ليت قومى يرون ما أرى .. ليتهم يرون الصفاء والرقة في معاملة أهل فينوس .. ليتهم يرون التواضع من الحاكم موليس .. تأكدت لى ظنونى ؛ فالمدينة الفاضلة هنا .. يوتوبيا هنا .

يوتوبيا ليست حلمًاً ولا جنونًاً أنتجه أفلاطون . لقد كان أفلاطون حالمًاً ،لكنه لم يكن يهذى .

إن أحسن كلاً منا في معاملاته .. إن حكمنا بالعدل .. إن ثورنا ضد الظلم والقهر والاستعباد .. إن نشرنا السلام في العالم .. إن فعلنا ذلك ..فقط. إن فعلناه سنعيش على الأرض لكن فى يوتوبيا .

طرقت الباب ؛فجاء صوت وقور من الداخل بأن أدخل .

فتحت الباب فرأيت رجل في منتصف الأربعينيات أو آخرها . ذو لحية بيضاء خفيفة . كان يجلس على كرسى مرصع بالنقوش في آخر القاعة الفسيحة . ستائر طويلة تغطى نصف الشباك المطل على حديقة القصر . يقف بجوار الكرسى الذي يجلس عليه الحاكم رجل أسمر ذو لحية بيضاء ، لكنه يبدو أكبر سنًا .

تقدمت حتى وصلت إلى منتصف القاعة أمام الحاكم موليس مباشرة ،وقلت بلهجة مبجلة واحترام شديد مع انحناءة بسيطة للرأس :

- السلام عليك أيها الملك .

ابتسم الحاكم ابتسامة خفيفة ،وقال ملاطفًاً :

- بداية خاطئة يا يوسف .
- اعذرنى أيها الملك ؛ فهذه أول مرة أزور فيها ملك بقصره .
- هذا هو خطأك .. فأنا لست بملك إنما مجرد فرد من شعب فينوس أوكلوه إدارة شئونهم فقط .
- الجميع هنا حكى لى عن تواضعك وعدلك وصدقاك .كان عندى بعض الشكوك في ذلك ؛ فمن يصل إلى الحكم كثيراً ما تتغير طبائعه .
- أنا لست قديسًا ، لكنى وصلت إلى هنا ؛ لأن شعب فينوس ثاروا على الظلم والاستعباد. أنا هنا لأنهم أرادوا حياة أفضل .
- أنت محق أيها الحاكم .
- نسيت أن أعرفك بمستشارى أنديموس ،والوزير الأعلى للمدينة وبالطبع وقبل كل ذلك صديقى الوفى .

نظرت إلى أنديموس ،ووجهت له التحية ؛فبادلنى بابتسامة باهتة ، وقال :

- أهلا بك أيها الأرضي .

لاحظ الحاكم موليس ضيقى من معاملة أنديموس الجافة بدون سبب واضح ؛ فتوجه إلى أنديموس برأسه مخاطبًاً :

- حسناً يا أنديموس .. يمكنك أن تتركنى بمفردى مع صديقنا يوسف ؛ فأنا أريد أن أناقش معه بعض الأمور ،وأعرف منه قصته .
- كما تشاء يا موليس .

عاد أنديموس ؛ليبتسم لى نفس الابتسامة الباهتة أثناء خروجه من الغرفة ؛ فتظاهرت بعد الاهتمام وهنا خاطبنى الملك بود :

- لا تغضب من أنديموس فهو رجل شكاك إلى أبعد الحدود لا يطمئن إلى أحد إلا بعد فترة طويلة ،وبعد إثباتات كثيرة بالولاء والشرف والأمانة .
- لا بأس يا مولاى ؛ فأنا مقدر موقفه تمامًاً ؛فأنا في النهاية شخص غريب عن

مدينتكم وله الحق في عدم الاطمئنان من جانبى .

- دعنا من ذلك ،وقل لى ما هى قصتك ؟
- صدقًا لاأعلم يا مولاى .. لاأعلم كيف وصلت إلى هنا ؟! فالحكيم قد وجدنى ملقى فى عرض الطريق أول أمس ؛ فاصطحبنى إلى بيته ،وأطعمنى .استضافنى عنده .
- هذا هو الحكيم .. لا يتخلف أبدًاً عن مساعدة أى شخص أياً كان . إذاً ماذا ستفعل أثناء إقامتك معنا ؟
- بما إنى لا أعلم طريقة العودة إلى موطني ؛فأظن أنى سأبقى طويلاً هنا ،وفى خلال ذلك يمكن أن أستعين بمهنتى ؛ فأنا مهندس .
- مهندس ... رائع جدًاً .
- هل عندك عمل لى يا مولاى ؟
- طبعًاً .. سأعينك مستشارى الهندسى ؛ فالعديد من القصور والمعابد هنا أصابها الشروخ ، وما غير ذلك من اختلال في التربة ،وما إلى ذلك وتحتاج إلى عمليات ترميم .
- أنا لها يامولاى ..ويمكننى أيضًا أن أساعد في بناء الطرق والبيوت الجديدة .إن أردت التوسع .
- كل شيء وله أوانه .. لا تقلق فالأعمال هنا كثيرة .فقط كن على أتم الاستعداد وتحمل عناء العمل الشاق .
- لا تقلق يا مولاى .
- بما أنك أصبحت مستشارى ؛ فأنا أدعوك لـ الإقامة هنا في قصر الحكم .

ترددت لحظة في الرد ؛ فهذا معناه أنى سأترك الحكيم ، ولكن معناه أيضًاً أني سأرى فينوس كل يوم في كل صباح وكل مساء.

- اعفنى من ذلك يا مولاى ؛فالحكيم له فضل عليّ ،وأنا سعيد فى الإقامة معه ، لكنى أستأذنك في بعض الأوراق للكتابة .

- قبل أن تعود إلى منزل الحكيم ستجد ما طلبته في انتظارك ، ولكن اعذر فضولى لم تحتاج هذه الأوراق ؟!
- لتلبية نداءاتى الشعرية ؛فالمكان هنا أعاد الشاعر الذي بداخلى إلى الحياة مرة أخرى .
- ياللعجب .. عقل مهندس بدقته ،وقلب شاعر برقته .
- هذا إطراء كبير منك يامولاى أشكرك عليه.
- ليس إطراءً بل الحقيقة ، ولكن قل لى هل هى هواية أم عملاً تتكسب منه أموالاً ؟
- الكثير منا يامولاى في بلادى استخدموا كل شىء للحصول على المال ، لكن عندما نبيع الكلمة للحاجة إلى المال ؛فنحن نسير إلى الهاوية .
- يبدو أن حكيمًاً بدأ يولد بداخلك.
- تجربة الحياة تولد بداخلنا ألف حكيم .

هز رأسه موافقًاً على ما قلته ،ثم قال :

- في انتظار أعمالك الشعرية ،وأعمالك الهندسية أيضًاً .
- سيكون من دواعى سرورى يا مولاى .

قاطعنا صوت طرقات على الباب ؛ فسمح الحاكم للطارق بالدخول . نظرت ورائى لأرى من القادم فرأيتها .. فينوس .. كانت أجمل من المرة السابقة .. شعرها الذهبى المنسدل على صدرها كسلاسل الذهب ،ووجهها البراق الناصع البياض وعينيها الرماديتين الجميلتين . كانت ترتدى فستانًاً ضيقًاً عند الصدرومزرقشًاً عند الأكمام ،ويظهر كتفيها إلى بداية فتحة صدرها وعنقها المرمرى جلاد يجلد القلوب والعيون .... وهم الجمال .

لو رأها شعراء العصر العباسي لقالوا في تبجح العاشق المسحور بالجمال: "من أى شجرة قطفتى رمان نهديكى ؟"

مرت بجانبى فلم أستطع منع نفسى من إنشاد هذا البيت :

" إذا مارأت عينى جمالك مقبلاً ***** بحقك ياروحى سكرت بلا شرب "

أنهلتنى من نهرها العذب ابتسامة ،ونظرة دلال كالفراشة المتمنعة عن بعض الزهور .
ابتسمت فى وجهى ؛ فرأيت جمال وجهها ،وقد زاداه الغمازتين إشراقًا وفتنة .
توجهت إلى والدها وقالت :

- عذرًا يا أبى على مقاطعتك .
- لا بأس يا ابنتى .. هذا يوسف . ثم وجه كلامه لى : وهذه ابنتى فينوس .
- الأرضى .
- هل تعرفينه ؟!
- وهل في المدينة حديث إلا عنه ،وعن غرابة وصوله إلى هنا .

ابتسم الحاكم موليس في هدوء ،وقال :

- هذه هى عادة الناس ، يتناقلون الأخبار في سرعة البرق ؛ فهى وسيلة من وسائل إشغال أنفسهم عن روتين الحياة ، اصحبى يا فينوس صديقنا يوسف في جولة بالقصر ، والحديقة المجاورة وبعد ذلك عودى لأسمع ما تريدين .
- أمرك يا أبى .

نظرت إلى وابتسمت ؛فأحسست بالفراغ من حولى .. لم أحس بشيء آخر سوى وجهها .. كأننى وقعت في هوة اللازمان واللامكان .. توقف العقرب عند جمال عينيها .. توقفت حركة الكون عند ابتسامة شفتيها .. أحسست عينى بكل جزء من جسدها من شعرها حتى أقدامها . سلبت منى العقل والقلب فتيمتنى بسهام نظراتها .. هذا هو العشق من أول نظرة الذي طالما أنكرته .

- هل ستأتى أم ستظل جامدًا فى مكانك ؟
- بالطبع ... بعد إذنك يا مولاى .
- تفضل يا بنى .

وهكذا بدأت حكايتى مع فينوس .. أيقونة الجمال .

«٥»

عندما تفتح لك الأنثى أبوابها ؛ فإنها تعطيك مفاتيح الحياة ،والموت معًا ! هكذا كانت علاقتى بسمر موت بطئ .. سم دس لى في العسل .. وهكذا أيضًا نسيتها وبدون حسرة عليها وكأنى لم أحبها يومًا . وفتنت بفينوس ..لمحت في عينيها نظرة براقة أعرفها ؛ فقد لمحتها في عيون الكثير من النساء العاشقات .. نظرة بداية إعجاب بالغريب القادم من الجار البعيد الذي يدعى كوكب الأرض ،وهكذا علمت أنها ستحبنى ليصبح حبنا .. حب غريبين .

مشيت بجوارها في سراديب القصر الطويلة مستنيرًا بضيائها البراق . التفتت إليّ وقالت :

- هل أعجبتك فينوس ؟... أ .... أ.... أقصد مدينتنا فينوس .
- فينوس رائعة .. طبيعة خلابة وأناس طيبون .
- أليست الأرض جميلة هى الأخرى ؟
- الأرض جميلة ،لكن أهلها أساءوا لهذا الجمال بوحشيتهم ،وهمجيتهم وطبائعهم الحيوانية. بالطبع ليس الجميع كذلك ، لكن هذا هو الصوت الغالب على الأرض .

اندهشت كثيرًا من وصفى السودوى لعالمى الغريب عنها :

- إذن فأنت ستبقى هنا إلى الأبد .
- يبدو ذلك فقد وجدت هنا ما عجزت عن إيجاده في موطنى .
- والحب .. أليس لك حبيبة على الأرض تنتظرك ؟

نظرت إلى الأرض ،ثم رفعت رأسى وقلت بنبرة حزينة :

- لا .. لا يوجد حبيبة تنتظرنى ،ولا تسهر الليالى على فراقى .

- ألم تحب من قبل ؟
- لا أعرف جواباً لهذا السؤال فقد كانت لى تجربة سابقة ولا أعرف تصنيفها .. هل كان حبّاً أم إعجابّاً أم أننى أحببت الحالة أكثر من حبى لها ؟! وعندما تركتنى لا أعلم هل كنت أدعى الموت أم أنى كنت أموت فعلاً ؟! ولكنى كنت أقنع نفسى أن ذلك لا يحدث . لقد أحببت حالة الفراق كما أحببت حالة الحب .
- مأساة!
- نعم إنها كذلك ،وقد رثيت لنفسى كثيراً .
- إذن فأنت لم تحب بصدق أبداً ؟ !

وجدت أنها اللحظة المناسبة لإثارة غرور الأنثى بداخلها ؛ فقلت :

- لم أجد من تستحق هذا الحب حتى الآن.

قالت بمكر أنثى أرادت أن تنتصر لكل النساء :

- وأنت .. هل تستحق هذا الحب ؟!

ابتسمت ، وقلت فى مكر :

- هذا سؤال سأترك لكِ الإجابة عليه .

ابتسمت وقالت بلهجة ماكرة ،ونبرة ضاحكة :

- ماذا تقصد ؟!
- قصدت أنى أصبحت مستشار أبيك ،وسترينى فى القصر كثيراً وسنعرف بعضنا أكثر ، وبذلك ستحكمين على هل أستحق حب صادق أم لا ؟!

والابتسامة لا تزال على شفتيها ، قالت فى دلال :

- وما أدراك أن هذه لن تكون محادثتنا الأخيرة.
- عيناك تقول لى غير ذلك .
- أمممم ... وتعرف لغة العيون أيضًا .
- أنا بارع فى قراءة عيون الجميلات .

obeikandl.com

- أنت شاب جرئ .
- فى حضرة الجمال فقط .

ضحكت فى دلال زائد ؛ فتيقنت أنها فتحت لى أبوابها على مصراعيها .. أبواب لم يدخلها أحد من قبلى.. غصت فى عشقها أكثر ، وأكثر حتى امتلأ قلبى بها عن آخره .

وصلنا إلى باب القصر ،ولم أكن أريد أن أعود إلى بيت الحكيم ،وأتركها ولكنى فضلت أن أكتفى بهذا اليوم عند هذا الحد فلازال الوقت أمامى طويل فقلت :

- يبدو أنه حان وقت المغادرة .
- بهذه السرعة .
- لا أريد أن أؤخرك ؛ حتى لا يغضب والدك كما أننى سأتى كل يوم إلى القصر ؛ فأنا الآن مستشار والدك الهندسى.
- إذن نكمل حديثنا فى الغد .
- بالطبع .. بعد إذن الأميرة .
- أميرة ! لست بأميرة ، بل أنا مجرد ابنة الرئيس ليس أكثر
- أميرة الجمال .

ابتسمت ابتسامة مضيئة زادتها الغمازتين فتنة ،وقالت :

- ابلغ سلامى للحكيم .
- سأفعل .

وهكذا فتحت لى فينوس أبواب الحياة والسعادة مرة أخرى ، ولكن هل فتحت باب موتى أيضاً ؟! ، انتظرت عند الباب لكى أراها فى طريق عودتها لوالدها .. أرادت عينى أن تنظر إلى هذا الجمال الخالص المتحرك على قدمين . يالله هل وضعت كل قدرتك لتصنع مثل تلك المعجزة وتنفخ فيها هذه الروح ؟!

عدت إلى بيت الحكيم ولا تزال محادثتنا فى عقلى وصوتها يرن فى أذنى ،وبقيت محافظاً على رنين صوتها ؛حتى غالبنى النوم .

obeikandl.com

«٦»

حديقة وارفة الأشجارظلالها كظلال الغيوم في سماء الصيف الحار .. الزهور حولى من كل جانب حمراء وزرقاء وبيضاء وصفراء .. لوحة رسمت بيد صانع قدير .

أجلس أمام بحيرة مائها صافى كمرآة ترى فيها الوجود من حولك بعين المياه .

أصوات العصافير صداها يملأ الهواء راحة وصفاء ، والشمس بأشعتها الخفيفة تعطى للجو دفئ جميل .

قطعة من الجنة أجلس فيها ،وبجوارى فينوس تضع رأسها على صدرى ،وأضع أنا يدى على كتفها . هى تسمع صوت قلبى ،وأنا أشعر بحنان جسدها ودفء أنفاسها .

نظرت إلى نظرة المحب فسرحت فى عينيها .. أغمضنا أعيننا .. تلاقت شفاهنا .. بحنا بأسرارنا. كلام القبلات أبلغ من أى غزل يجرى على ألسنتنا ؛ فالقبلة هى ختم الحب وزينته .. القبلة هى وردة الحب .. قبلة كأنها الدهر .

- انهض يا فتى . لقد تأخرت على الذهاب إلى القصر .
- فتحت عينى ؛فلم أجد لا الحديقة ولا فينوس ،ولا القُبلة بل الحكيم يوقظنى من نومى .. لقد كنت أحلم بيوم جميل مع فينوس تحت ظلال الحب .

قمت من نومى العميق ،وارتديت ملابسى ، ثم ودعت الحكيم وانصرفت مسرعًاً إلى قصر الحاكم.

وصلت القصر ؛فقابلنى الحارس بابتسامة مشرقة وسمح لى بالدخول على الفور . أنا المستشار الجديد .

وصلت إلى قاعة الحاكم موليس ؛ فوجدت أمامى الوزير أنديموس . تبسم فى وجهى

ابتسامة خافتة ، ولكنها كافية لأفهم أنه لم يثق فيّ بعد ، لكنه قال فى لطف :

- يعتذر موليس عن مقابلتك اليوم لانشغاله بالعديد من الأمور الهامة ، لكنه يعدك بمقابلته فى الغد.
- لا عليك ؛فأنا مقدر تمامًا .

أحسست أنها فرصة ذهبية لبداية صداقة مع أنديموس ؛ فقلت :

- لقد أصبحت المستشار الهندسى.
- أعلم ذلك .
- لابد أنك تعلم ،ولكنى أسألك عن رأيك فى هذا التعيين .
- لقد ناقشت موليس فى هذا الأمر بالأمس ،وقلت له رأى فيك بصراحة ،لكنه فى النهاية مقتنع بقدراتك .
- إذاً فأنت لست غاضب من هذا التعيين ؟
- لا لست كذلك .. وأريدك أن تتأكد أنى لا أضرم لك أى كراهية شخصية ،فليس ذلك من طباعى ولكنى شكاك إلى أبعد الحدود ،وأنت أتيت لنا من عالم غريب لا نعلم عنه شيئًاً ؛ فأرجو أن تقدر ذلك .
- أنا أقدر ذلك تمامًا ،وأطمح أن نصبح أصدقاء فيما بعد .
- بالطبع . الأيام قادمة ، وستكون لنا معًا جلسات طويلة ، لكن اعذرنى الآن فأنا ذاهب لكى أستعلم عن شىء ولابد أن أعود بسرعة إلى موليس .
- بالطبع .. إلى لقاء قريب .
- أقرب مما تظن .

مضى الوزير أنديموس فى طريقه ،ومضيت أنا فى طريق العودة إلى بوابة القصر ، ولكنى قررت أن أقضى وقت فى حديقة القصر قبل أن أعود إلى بيت الحكيم ، ذهبت إلى الحديقة ؛ فرأيتها وردة تخجل من جمالها كل الورود . رأيت رشاقتها فى التجول بين الأزهار كفراشة تتهادى بين الحقول .

الصدفة .. لا يوجد ما يسمى بالصدفة .. لم أؤمن بها من قبل ؛ فقد قالت لى أمى من قبل :

obeikandl.com

" لاتتمنى الصدفة ؛ فهى داء الانتظار " .. الأمل القاتل .. حبل النجاة والموت معاً .

ابتسمت حين رأتنى ؛ فأحسست بإعجابها بى .. ارتعشت رعشة لقاء حبيبك .

توجهت نحوى ،والابتسامة مازالت على شفتيها وسألتنى باسمة :

- ماذا أتى بك إلى الحديقة ؟
- قادتنى قدماى إلى هنا بلا ترتيب ؛ ليكون لنا من اللقاء نصيب .
- هل أتيت إلى هنا متمنيًاً لقائى ؟
- وهل وافقت على تعيينى مستشارًا إلا ليكون لى فرصة فى لقائك .
- لقد لاحظت نظراتك منذ أول مرة رأيتك فيها . ليست نظرة عادية .
- ماذا تقصدين ؟
- أنت تعلم جيداً ما أقصد .
- ابتسمت ، وقلت فى مكر :
- لا ألاعيب.
- حسنًاً .. هى نظرات المعجب .
- وهل يستطيع أحد ألا يعجب بهذا الجمال الإلهى ؟!

احمرت وجنتاها خجلاً ،وقالت :

- لا تكثر من هذا الكلام المعسول ؛فأنا لم أتعود على سماعه .
- إذن تعودى فأنا معجب بك منذ اللحظة الأولى التي رأت فيها عينى ضياء جمالك ،وازداد إعجابى حين تحدثت معك بالأمس لأول مرة .
- بهذه السرعة !
- أعلم أنه أمر عجيب لكن حين يدق القلب جرس إنذار اختراقه فلاشىء يوقف هذا العدوان.

ضحكت فى دلال ،وقالت والابتسامة على شفتيها :

- عدوان ... أتسمى الحب عدوان ؟!
- نعم .. فالحب نهايته الحياة أو الموت .. لا ثالث لهما .

obeikandl.com

- ولم صارحتنى بإعجابك فى هذا الوقت المبكر ؟
- حدسى لا يخطئ أبدًا ؛ فأنتِ معجبة بى مثلى تمامًا ..ألست محق فى ذلك ؟

ارتبكت ، وقالت بنبرة متلعثمة :

- دعنا لا نحكم على بعضنا البعض الآن ؛فالوقت لا زال مبكرًاً . دعنا نترك لأنفسنا فرصةً ؛ لكى يرى فيها كلاً منا الآخر بصورة أوضح ليكون الحكم عادلاً .
- حسناً .
- ألم تجد أبى ؟
- أخبرنى أنديموس أنه مشغول ،ولن يستطيع مقابلتى اليوم .
- إذاً فأنت بلا عمل اليوم ؟
- يبدو ذلك .
- فلتقبل دعوتى على الغداء إذن.
- بالتأكيد ... هيا بنا .

obeikandl.com

«٧»

أنا الغريب بكل ما فى الكلمة من معنى .. غريب الوطن وغريب الفكر . للوهلة الاولى أحسست أن فينوس هى غربتى ، لكن الحقيقة أن غربتى كانت على الأرض .

فمن حب ضائع مزق بسهامه أغشية قلبى إلى أمل فى مستقبل مشرق لا وجود له إلا فى أحلامى الوردية .... ألواح من زجاج أحاطت بحياتى .. وفجأة .. انهار العزل وتعرت الدنيا أمامى . رأيت واقعى على حقيقته ،وعدت بأحلامى من سمائها العالية إلى أرضها الجدباء . حتى وطأت قدمى أرض فينوس فتغير كل شىء .. أمل جديد .. موطنى المنشود .. محبوبتى فاتنة الحسن رقيقة الطباع .. فرصة منحت لتنتشلنى من ضياعى الأرضى إلى النعيم السماوى .

نعيم الدنيا تجلى فى أبهى صورة على أرض فينوس ؛ فرأيت العدل وعرفت الحب . بدى لى أن ما فقدته على الأرض منح لى على فينوس فياله من قدر ويا لها من حياة . تعطيك الدنيا حين تظن أنها أعطتك ظهرها ،ولن تجد فيها خيراً أبداً .

*****

عدت من جلسة الغداء مع فاتنة الحسن فينوس إلى استراحة الحديقة وسط الزهور والأشجار .

تلفتت إليّ ، وقالت فى نشاط بالغ :

- حدثنى عن نفسك .. هيا.
- هذا أصعب ما يمكن أن تسألينى عنه .. من أنا ؟!
- أغامض أنت لهذه الدرجة ؟!

- لا ليس الأمر كما تظنين ، لكنى مع الوقت أكتشف أشياء لم أكن أعلم أنى أمتلكها .

وقد أصابها بعض خيبة الأمل قالت :

- حدثنى إذن عن حياتك الأرضية.
- مأساة .

قالت بنفاذ صبر وتعجب فى نفس الوقت :

- لماذا أصبحت حياتك سيئة لهذه الدرجة ؟
- عندما تشعرين أن لا مكان لك فى هذا الوطن ؛فترفضين ثقافته وعقليته وفى نفس الوقت لا تستطيعى تغيير أ ى شىء تصبح مأساة . عندما تصبح أسعد لحظات حياتك ساعات مسروقة من حياة بطل رواية تعيش فيها ؛لتهرب من واقعك المريرأو فى أحضان ديوان شعر والشعراء هم بائعى الوهم تصبح مأساة . عشت بخمسون شخصية ،ولكنى لم أعش حياتى أنا حتى أصبحت بطل من ورق .
- لا تقسو على نفسك وانسى ذلك كأنه لم يكن فالحياة على فينوس سيكون لها طعم آخر .
- أنسى ! ... النسيان هى كذبة البشر الكبرى نضحك به على أنفسنا ،لكننا فى داخلنا نرفض تلك الحقيقة وهذا الوقع فندفنه داخل أعماقنا فى مكان مهجور كى لا نصل إليه لكننا لا ننسى أبدًا .

سقطت من عينى دمعةً رغمًاً عنى .. من لا يفهم دموع الرجال قال عنها عارًاً فيا له من عار. رأت دمعتى ؛فاحتضنت وجهى بيديها وهى تقول : " لا يوجد أصدق من دمعة رجل " . مسحت دمعتى بإصبعيها ،ثم أخذت برأسى ووضعتها على صدرها .. احتضنتنى .. احتوتنى بداخلها . نسيت وأنا فى جنتها أن العمر حلم زائل ،وشعرت أنى عشت دهوراً ودهورًا .

رفعت وجهى مقابلاً لوجهها وذوبنا فى قبلتنا الأولى .. قبلتها كما قبلتها فى الحلم من قبل ؛ فكان أول حلم يتحقق وما أجمله من حلم .

أخذتنى إلى عوالم لم أزرها من قبل .. عالم الحب والعشق .. عالم الحنان ... عالم الجمال كانت قبلتنا الأولى ولم تكن الأخيرة .. وضعت يدى على خديها وقلت لها : " منذ رأيت نهر عينيكى علمت أنى غريق " ... ثم قبلتها ثانية .

obeikandl.com

«٨»

أجلس على مقهى بوسط البلد أطلقت عليه فى صغرى مقهى الأحزان. أجلس وحيداً كما كنت من قبل .. مرت سنتين وها أنا ذا أعود وحيداً .

أرشف قهوتى على مهل ؛ فلا يوجد ما يغرينى لاستعجال الوقت .. أدخن سجائرى كما تعودت منذ فترة صغيرة أملاً في تخفيف نيرانى الداخلية بنيران أخرى ،أو إراحتى بموت مفاجئ .

قتل ... أو لست مقتول! كيف يموت الإنسان مرتين ؟!

ما الموت بانفصال الروح عن الجسد ؛ فالموت هو موت الروح وإن كان لايزال فى أنفاسك من بقية .

"الحب هو موتنا المنتظر " هكذا قال لى صديقى فى جلسة سابقة ، لكنى يومها لم أفهم ما قال بل وأنكرته قائلاً : " الحب هو الحياة لمن يعى ويفهم " .

مر الوقت واكتشفت أن الحب يرميك بالموت فجأة .. يحرقك ببركانه فى لحظة ،وتصير رمادًا منثورًا .

تسربت الرؤيا من أمامى .. أرى الآن سمر تقف على رأسى وترتدى السواد .. هل أعلنت الحداد ؟! هل هذا حداد حبنا القتيل أم الشهيد ؟! أم هذا حداد موتى أنا!

ماء يتقطر على جبهتى ،وأرى أناس كثر من حولى .. فينوس .. إنها فينوس ترتدى البياض ؛ فهل بعثت من جديد ؟!

وجهها لا أتبينه جيداً ، لكن يبدو أنها قلقة من شيء ما لا أدرى ما هو ؟! فينـوس. ناديت بصوت ضعيف لا أدرى هل سمعتنى أم فشلت فى شق حاجز الصمت من جسدى ؟!

وضعت فينوس يدها على جبهتى ؛فرأيت القلق فى عينيها . حاولت أن أمسك يدها فلم تقدر يدى على التحرك من مكانها .. نطقت باسمها مرة أخرى ؛ فلم يصل إلا صدى اسمها بداخلى ، أراها تذهب وتجئ فى الغرفة لا أدرى لماذا ؟! ... ذابت الرؤية .

رحلت فينوس ، ومن معها وتحولت الرؤية إلى ظلام دامس .. لا شىء حولى سوى الظلام .

ظهرت سمر مرة أخرى ، وهى لاتزال ترتدى ثوبها الأسود .. هل مت قبل الآن ؟!

هتفت باسمها " سمر " ؛فلم أسمع ردًّا منها ولكنى رأيت دموعها نارًا تحرق خديها الخمريين . سمعت صوتها ، وهى تقول لى : " تركتنى .. خنتنى .. عذبتنى ."

لا لست أنا .. أنا المعذب فى هواكِ ليس أنتِ .. أنا الجريح وليس أنتِ .. كيف أصبح أنا الجانى والضحية والقاتل والشهيد ؟!

شريط العمر يمر متلاحقًا أمام عينى ؛ فأرى الحب والصداقة والنجاح والفشل والبعد والفراق ، أرى فينوس بثوبها الأبيض تقف أمام سمر بردائها الأسود ؛فهل هما اثنتان أم أن إحداهما انعكاس الأخرى! من منها الواقع ومن الخيال..من الأصل ومن الانعكاس.. مختلفتان ومتشابهتان .

كيف يكون الفراق انعكاسًا للعشق؟ وكيف يكون الحزن انعكاسًا للفرح ؟ كيف تذبل الوردة فى الخريف ويتفتح انعكاسها فى الربيع ؟

هل هى مُنَاسبة [2] ديكارت ؟!

أرى أبى كما تعودت أن أراه ماثلاً أمام التلفاز لا يحرك ساكنًا .. يشرب قهوته البرازيلية ويدخن غليونه فى صمت تام ، وأرى أمى تداعبنى عندما كنت فى الخامسة من عمرى ،ثم تذهب لإعداد الطعام كما تعودت أن تفعل .

أراهما يتشاحنان كما تعودا على أهون الأسباب .. يالهذه الحياة التعيسة !

أرى الموت يحلق فوق رأسى يناديني ويقول لى تعالى إلي .. تعالى أخلصك من عذابك الدنيوي ، ولكن إلى أى عذاب ستأخذنى أيها الموت ؟! حتى عند الموت لا تفارقنى

(2) نظرية المناسبة لديكارت

لحظاتى التعيسة ؛ فتتجسد إلي ككابوس مفزع يقلق مضجعك فى الليل ..أشباح تحوم حولى لا شأن لها سوى شقائى! تتدافع الرؤيا كأمواج بحر هائج وسط الظلام ؛ فهل أنا ميت أم على شفا حفرة الموت ؟! .. يعود الماء ليتقطر على جبينى فهل فى جهنم ماء ؟! ضوء ضعيف يتسرب إلى عينى ؛ فتؤلمنى مقلتىّ ، أفتح أجفانى وأغلقهما فى حركة لا إرادية لعدم تعود عينى على هذا الضوء ؛فيبدو أن عينى لم تبصر الضوء منذ فترة .

رأيتنى ممددًا على سرير وفينوس جالسة بجوارى على كرسى خشبى ، ورأسها على صدرى ؛ فتبينت أنها قضت ليلتها ، وربما ليالٍ أخرى قبلها على هذا الوضع .

وضعت يدى على شعرها ، وداعبت خصلاتها الذهبية المنتشرة على وجهها كالتاج على رأس الملكة ، فتحت عينيها الرماديتين الرائعتين ، وقالت بصوت متهدج من الفرح والتعب معًا :

- ها قد أفقت يا حبيبى أخيرًا.
- أين أنا وماذا حدث ؟ ولماذا لا أقوى على تحريك جسدى ؟
- صبرًا يا حبيبى .. ستعرف كل شىء فى وقته. أما الآن فلا تجهد نفسك وانتظر ريثما يأتى الطبيب .

طبعت قبلة سريعة على جبهتى ، وقالت فى صوت ضعيف :

" أيها الحراس .. أحضروا الطبيب إلى هنا فورًا " .

جاء الصوت من الحارس على الباب بأن سمعاً وطاعة يا مولاتى .

*****

انتبهت إلى ما قالت .. هل قالت يا حبيبى ؟!

- هل قلتى يا حبيبى ؟
- أولست حبيبى !

- إنها المرة الأولى التي تقوليها لى.
- ألم أقبلك ..أليست القُبلة ختم الحب .
- بلى ، ولكن لسماع كلمة حبيبى تخرج من بين شفتيك مذاق خاص .

ضحكت فى دلال ،وقالت :

- ألا تكف عن الغزل أبداً .
- لن أكف عن الغزل ، وأنا بين يديك أبداً .
- كفى كلاماً فمازلت مريضاً وفى حاجة للراحة .. هاهو الطبيب قد أتى لكى يتفحصك .

كهل فى الستين من عمره متثاقل الخطا ، يبدو على وجهه المتجعد أنه قد استيقظ للتو من نومه ، اقترب منى ، وقال فى صوت غليظ :

- كيف أصبحت الآن أيها الشاب ؟
- بخير على ما يبدو.

وضع يده على صدرى وجبينى ، ثم وضع أذنه على صدرى ،ثم قال فى صوت مطمئن :

- حمدًا للرب . حرارتك عادية ونبضك معتدل ، لكن من الأفضل أن تلزم السرير لمدة يومين أو ثلاثة ؛حتى تستعيد عافيتك بالكامل .
- أخبرنى أيها الطبيب عما حدث .

نظر إلى فينوس ؛فأومئت إليه ألا يرد ، ثم قالت بصوت متقطع :

- سأخبرك أنا بكل شيء .. يمكنك الانصراف أيها الطبيب ،وشكراً لك على إنقاذك لحياته .
- هذا واجبى يا مولاتى ... بعد إذن مولاتى .
- تفضل .

اعتدلت فى نومتى ،وقلت لفينوس بلهجة حادة :

- ألا يحق لى معرفة ما حدث ؟!
- ما آخر شيء تذكره ؟

- أذكر ونحن نجلس فى الحديقة ..... و ..... و ..... أه تذكرت ... زجاجة نبيذ وكأسين. كأس لى وأخر لك .. وأذكر أنى شربت كأسى أولاً .
- وحين هممت أن أشرب كأسى دفعته من يدى ،وأن تقول : " لا تشربيه أنه مسموم " ، ثم غبت عن الوعى ؛ فناديت الحراس وحملوك بسرعة ، وجاء الطبيب قبل أن يتمكن السم منك ، ومن حسن الحظ أن النبيذ قد خفف من مفعول السم .
- وكم مضى على غيبوبتى ؟
- أربعة أيام ذقت خلالها مرار رؤيتك تتلوى من الألم والماء يتصبب من جبينك كينبوع فى وسط الجبل .. لبست البياض ،وأرسلت القرابين داعيةً إلهى أن ينجيك من هذه المحنة .
- يبدو أنه استجاب إليكى ؛ فدلينى على إلهك هذا الذى يجيب الرجاء .
- ألا تعبد إلهًا ؟!
- أرى أن الكون لابد له من خالق واحد ،وأنا أعبده على طريقتى .. فعلى الأرض توجد ديانات كثيرة ،لكنها فى النهاية لم تمنع معتنقيها من ممارسة كل أنواع الظلم والقتل والانحلال ، بل وفعلوا كل ذلك تحت رايتها وبادعاء نصرتها ؛فما فائدة اعتناقى لديانة إذاً وأنا لا أؤتمر بنواهيها . لذلك قررت أن أرسل نفسى على سجيتها فلا يمنعنى مانع إلا أخلاقى وما وضعته لنفسى من حدود فاصلة ؛فلا سلطان خارجى عليّ بل سلطان عقلى وعقلى فقط .
- ألا تذهب إلى معبد ؟!
- الله ليس فى حاجة إلى وسيط ؛فالإنسان على اتصال مباشر مع الله .
- يبدو أن تفكيرنا مختلف تمامًاً ؛ فكلاً منا له عقل مختلف عن الآخر .
- هذه هى المثالية فى الحب .
- وكيف ذلك ؟!
- أنا وأنتِ كوترى كمان ، إن كان لنا نفس النغمة فقد الحب عذوبته .
- استرح الآن ، ولنكمل كلامنا فى وقت آخر .

وضعت يدها على يدى ، وطبعت قبلة حنونة على جبينى ومضت لكى أستريح .. لكن أين الراحة ؟ ومن حاول قتلنا لا زال طليق!

obeikandl.com

«٩»

مرت الأيام الأربع عليّ مرور ثقيل. تقاذفتنى فيها الأفكار والشكوك فمن الذى سولت له نفسه أن يفعل ذلك بنا .. من يريد أن يتخلص من فينوس ومنى ؟! من الذى زين له شيطانه أن يغتال سعادتى البكر ويقضى على أحلامى الوردية ؟!

شاركتنى فينوس خلال تلك الأيام الشكوك والهموم . تخفف عنى حيناً وتزيد من قلقى أحياناً أخرى ؛ فقد كان إحساسها خليط من السعادة و الحزن .

نعم .. السعادة لسلامتى و استعادتى لعافيتى بعد هذه المحنة الصعبة والحزن لسبب دفين لم تبح به لى قط ، لكنى كنت أعلمه .

لقد كانت تعتقد أو بالأحرى متأكدة أنها السبب فى ذلك كله ؛فأنا لست المقصود بالقتل بل هى ؛ فأنا لم يمضِ على وجودى فى فينوس ما يكفى من الوقت ؛ لتكوين عداوات تدفع شخص ما لمحاولة قتلى .

المنطق سليم لكن إحساس قوى بداخلى كان يقول لى إنى مقصود مثلها تماماً ؛ فالقاتل لا يريد لأياً منا الحياة لسبب ربما لا أعرفه الآن ،لكنى سأعرفه بالتأكيد مع مرور الوقت .

خلال تلك الفترة زارنى الحكيم مرة واحدة بعد إفاقتى بيومين ، وشكرت له تلك الزيارة جداً ؛ لأنه قد اختار لنفسه حياة العزلة ،ولم يزر أحد فى منزله منذ اعتزل العمل العام . فقط زيارة السوق مع أنفريوس ليتفقد أحوال العامة لا أكثر .

أما الحاكم موليس فلم يمضِ يوماً لم يزرنى فيه ،ولم يشكر فيه صنيعى بإنقاذى العزيزة فينوس من الموت . لا تشكرنى أيها الحاكم ففينوس حبيبتى فلا شكر بين العشاق فبدونها لا حياة لى ، ولا بقية فى عمرى إن لم تكن هى فيه .

وخلال ذلك كله عادت الشكوك تراودنى ؛ حتى وأنا على فينوس تبحث عن بضاعة الحزن فأجد نفسى أمام الشك القاتل ؛ فيمن حولى كأن تهرب من الموت حزناً وقهراً لتموت غرقاً فى محاولة بائسة للهرب من الحياة .

بعث لاعب الشطرنج بداخلى من جديد بعدما أنعم عليه بأيام أسماها أيام السعادة الثلاثة . تلك الأيام التى شهدها على فينوس منذ وصل .

هناك بعيداً على الأرض سأله صديق " كيف عشت حتى الآن ؟ " كان الهدف من سؤاله كيف يعيش رجلاً مثلى حتى الآن بهواجسه التى لا تفارقه وشكه القاتل فى تصرفات من حوله ولا ينضم إلى حظيرة المجانين ؟ يا صديقى أنا لاعب شطرنج محترف لا أدرى أيهم علمنى الآخر الشطرنج أم الحياة ؟!

بعد الشفاء قصدت الحكيم في أول زيارة ؛ لكى أشكره على زيارته كما أردت أن أطمئن عليه ؛ فمنذ عملت بالقصر ،وأنا لا أحظى بالكلام معه إلا فى أضيق الحدود .

ذهبت إلى الكوخ ؛ فاستقبلنى الحكيم بترحيب شديد شاكرًا ربه أن نزع عنى ما كنت فيه من مرض وأعادنى سالمًا . جلسنا على المنضدة التى حملت أول إفطار لى على فينوس عندما كنت في ضيافة الحكيم .. قال لى في أسى على ما جرى معى :

ألم تعلم بعد من وراء تلك الحادثة ؟

- لا لم نصل له بعد ، لكنى مازلت لا أصدق أن ذلك كله قد حدث بالفعل ؛ فأنا لم أرَ من شعب فينوس إلا الخير ولا شىء سواه .
- أنا مثلك تمامًا ، لكن يا بنى لابد أن تعرف شىء عن الحياة فى فينوس : " لا أحد يملك على فينوس شيئًاً فالملكية جميعها عامة للشعب ولاتوجد ممتلكات خاصة إلا البيوت فقط . أما الأراضى الزراعية فهى موزعة بالتساوى على الأفراد جميعًا ، ونحن نعيش على المحاصيل والتجارة مع البلدان المجاورة لنا .لذلك فعلى فينوس لا توجد سرقات ولا قتل ولا جرائم ترتكب باسم المال ؛ فالكل يملك كل شىء ولا زيادة لفرد عن آخر بشىء. "

- قد علمت ذلك لكن من أراد قتلي لم يكن يريد السرقة لا منى ولا من فينوس ، لكنه الانتقام.
- يا بنى حتى فى أشد المجتمعات فضيلة ستجد من لا يستحق أن يعيش فيها . ستجد من يفسد أجواء الطهارة بخبث نفسه وغوايات شيطانه .

حين تكون في حضرة الحكيم لا تستطيع سوى أن تجلس مستمعًا للمنطق الفذ الذي يتحدث به ، والخبرة الواسعة التى تتضح في كل كلمة من كلماته .. كم تمنيت أن يصير لى عقل مثل عقل ذلك الشيخ العظيم ، لكن متى حل الشك ذهبت الحكمة .

ودعت الحكيم بعد أن تبادلنا الحديث في العديد من الأمور وأعلمته أن الحاكم موليس قد دعانى للبقاء في القصر ؛ حتى أكون على مقربة من الطبيب ،وبأنى وافقت على طلبه فتمنى لى الحكيم التوفيق في عملى بالقصر وبالصحة والعافية .

لم أبدِ للحكيم معرفتى لحقيقة مطلب الحاكم موليس وإصراره أن أنقل إقامتى للقصر ؛ فهو ففي الواقع يريد معرفة القاتل بأن يضع الطعم للفريسة ؛ فكنت أنا الطعم !

لا تنزعج أيها الحاكم ؛لأنى فهمت ما تطمع فيه وكشفت سرك ؛فأنا أيضًا أريد معرفة الخائن مهما كان الثمن حتى لو كان موتى هو الثمن .

عدت إلى القصر ؛فوجدت فينوس فى انتظارى . أخذت بيدى كأم تأخذ بيد صغيرها ،وانطلقت بى بين أزهار حديقة القصر .. عدت معها طفلاً مدللاً مرة أخرى .. رأيت معها الحنان والعطف ، والشوق والحب والاهتمام .

كان المساء قد حل بطلعته البهية ؛ فما أجمل الليل حين تستظل بنجومه مفترشًا وورود الحب .

استلقينا ننظر إلى النجوم ؛فوضعت رأسها على صدرى ، وأخذت أصابعى تتمايل مع خصلات شعرها الذهبية . قالت في حنان :

- قد علمت أنك شاعر فلما لم تكتب شيئًا حتى الآن ؟!
- من يكتب عن الحب لا يعيشه.
- لكنى أريد أن أسمع منك شيئاً .. ألا تحقق لى أمنيتى !

طفلة مدللة في جسد أنثى فاتنة هذه هى فينوس ، روحها الفاتنة لا تفارقها .. فينوس تملك كل ما تتمنى أن يوجد فى امرأة . عقل الأنثى بعمقه وقلب الأنثى بعطفه وحنانه وحبه واهتمامه ورقته ، وروح الأنثى المرحة المدللة المبهجة التى تجعلك تسكن بين السحاب فلا وقت في جنتها للحزن والملل والقلق ، وكذلك الجسد المتفجر أنوثة .

لم أرد أن أرفض لها طلب فى هذه الليلة ؛ فقلت :

- في تجربتى الأولى كتبت تلك الخاطرة وسأسمعك إياها لتعلمى بعض الأشياء عنى أسلوبى في الحياة ، وفي التعبير عن حالات الحب المختلفة : " قال لى في بادئ الأمر لم أفهم الأمر .. لم هى ملهمتك ؟! هذا سؤال لا يخرج إلا من ساذج أو جاهل بالحب ؛ فإن لم تكن هى ملهمتى فمن تكون! لكنى توقعت سؤال أخر من ذلك المتطفل على علاقتنا المتربص بتغير حالتى ومزاجي وهو : ما علاقة النثر والشعر بالمد والجزر ؟ قال لى لا تمارس ألاعيبك البلاغية تلك معى ؛ فلا طاقة لى بسيف الكلمات ، عذرًا. ، لم يكن ذلك امتحان لذكاء قلبك ولا لفراستك ، ما قصدت هو لماذا أكتب شعرًا حين يطل الحزن علينا بغيومه السوداء وأكتب النثر حين يفيض القبل بماء الحب ؛ليروى ظمأ من يجد فى كلامى حياةً كالحياة ؟ما الشعر وما النثر يا صاحبى ؟ ! هما توأمان من ينبوع اللغة ؛ فالشعر نای الكلمات والنثر كمانها ، الشعر هو بحر الحزن العميق والنثر هو نهر الحب الفياض ، إن قتلك الشعر بشجونه وأحزانه عاد النثر ليبعثك في الوجود حيًّا . إن تطاحنتك أمواج الشعر ،ورأيت كيف تبكى على زمن ضائع سيفيض من النثر مايحيى الكلمات العابرة لترى الحب كوردة نبتت على ضفاف الأبجدية ، وأختم يا صديقى بأن دع عنك قولى هذا كله فكما قال شاعرنا درويش : لا النثر نثر ولا الشعر شعر ... إذا ما همست ... أحبك .. "
- ما أجمل ما تقول ، لكن هذا ليس غزلاً أنثويًّا ، بل غزل في الأبجدية .
- يا حبيبتى هذا ما يقوله الآخرون أما أنا فأقول أن هناك امرأة هى الأبجدية .

أتدرين .. إن الأبجدية تغار مثلها مثل كل النساء ؛ فحين رأت الأبجدية ما صاغه العاشقون على مر الزمان من أشعار يتغزل فيها العشاق بمعشوقاتهم. تمنت أن تصير أنثى لتحظى بمثل هذا الغزل .

- يكفيها أن لولاها ما أصبحوا جميلات.
- بل بهم أصبحت جميلة .
- لولا الأبجدية لما وصف العاشقون جمال نسائهم.
- بل لولا جمال العشاق وفتنة الحب لما أصبحت الكلمات جميلة مثلما هى .

لم أكن أرى أى داعى لذلك الجدل سوى غيرة الأنثى ؛ فهى قد أرادت غزل لنفسها ولم ترد ما قلت.

لم يكن بالقصر من أحدًا لا زال مستيقظًا حين انتهينا من أمسيتنا . أوصلت فينوس إلى باب غرفتها ،وحين هممت بالذهاب استوقفتنى قائلة :

- أريد أن أريك شيئًاً ما . تفضل بالدخول .

جرفنى الشوق إلى داخل غرفتها فلم أستطع من منع نفسى عن قبول الدعوة .. تعالت الأصوات بداخلى أنها قد تكون نهايتك لو رأك أحدًا بداخل غرفتها ، ولكن هذا هو الحب لا إعمال فيه للعقل فهو سطوة القلب على حركاتك وأفعالك . سطوة القلب على الممكن والمحظور فلا طاعة سوى لصوت القلب .. لا حدود إلا ما يضعها القلب ؛فحين تحب تخضع بكاملك لسلطان قلبك لا شريك له.

لكن أكان ما جرفنى إلى غرفتها من مشاعر هى مشاعر الحب أم الشهوة؟ .. وما الفارق بينهما ؟! فأنت حين تحب يأتى الوقت وتشتهى من أحببت .. تشتهى أن تذوبا معاً بين جدران المحبة على سرير الحب . تشتهى يومًا يتلاقى فيه الجسدان ؛فتكون لغة الجسد فيه أبلغ من قول أعظم الشعراء على مر العصور .

تشتهى القبلة فعل خلاص وتشتهى العناق فعل انتحار .. تنتحر الأشواق حين يتلاقى الجسدان ، وتستشهد الورود حين تتلاقى الشفاه ؛فرائحة الحبيب أشهى من ألف وردة . وقفت فى وسط الغرفة أمام فينوس عاريًا من كل كلماتى وكناياتى ، كلما هممت بنطق

شئ يذوب الكلام على لسانى وأسكت ... في حضرة الجمال تصبح شاعراً ،وفى حضرة الشهوة تصبح أبكم.

قالت شفتى ما لم يستطع لسانى النطق به .. لم أدرِ كم قبلة قبلتها ؟! فمن يستطيع أن يحصى النجوم!

نطقت عنى القبل دهراً . خلعت عنها ثوبها وخلعت عنى ثوبى ..لا يهم .. فعرى الكلمات أبلغ من عرى الجسد . استوينا على سرير الحب نقطف من رياحينه وردة وردة .

تلاقى الجسدان يعزفان موسيقى الحب ؛فكنت أنا العود وهى البيانو .

اهتززنا اهتزاز الأوتار في حفل موسيقى صاخب لا يحضره سوانا .. هى وأنا .

وصلنا إلى قمة جبل النشوة وانتحرنا . انتحرنا على مذبح الحب قرباناً لكيوبيد ليصب علينا من سهام العشق على جسدينا .. قدمنا أرواحنا السابقة إليه قرباناً ؛ ليبعث فينا روحاً أخرى لا تعرف سوى العشق والحب .

استكشفت أراض كنت أعلم أن لم يطئها ذكر قبلى ولن تكون لغيرى .. وضعت ختم قُبلتى على كل شبر معلناً قيام دولتى . رميت بذرتى وأقمت حصونى فأنتى اليوم لى وغداً لى ؛ فبحبك لى أصبحت سيد العشاق .

أنوثتك ملكى وحدى فأنتى ،وإن كنتى إلهة الجمال فأنا إله العشق ورسول الغرام قُبلتى معجزتى وتوراتى لغتى وغزلى . كونى مليكتى .. كونى مستعمرتى .. كونى قِبلة الغرام وكعبة العشق .

من يستطيع أن يحاور أنوثتك مثلى أنا .. من أجدر منى بأن يستشهد عند شفتيك الخمريتين .. كنت سيد الكلمات فيما سبق .أما الآن فأنا الحاكم على أزهارك .. أنا الفاتح لحصونك .. أنا المروض لأنوثتك الجامحة كمهرة وسط الخيول .. أنا الحاكم بأمر الحب ؛فهل تقبلين الدخول فى طاعتى ؟!

قل للحظ شكراً فبعض العشاق يعيشون عمرهم كله وسط الكنايات ولا يدركون لحظة كتلك . لحظة تعجز الكنايات عن وصفها . لحظة فوق اللغة وفوق البلاغة .

فرغنا من نوبة الحب بعد أن عشنا كل لحظة كأنها الأخيرة لنا .. استلقيت بجانبها واحتضنتها .

وضعت رأسها على صدرى ؛ فأحسست بتنهدات أنفاسها .. نعطش فترويا القبلات .

كم تمنيت أن أظل هكذا لا شيء حولى سواها .. لا أحس بشيء سوى أنفاسها .. لا تلمس أصابعى شيئًاً إلا شعرها الذهبى المنسدل على صدرها العارى .. لا تتذوق شفتى شيئًاً سوى شفتاها .

لا أريد شيئًا سواكى .. أنتى فينوس المعجزة .

obeikandl.com

«١٠»

"وأكتب بين المسافات ... أحبك" .

كتبت تلك العبارة في صدر الغرفة ؛ لتكون أول شيء تراه عيناها حين تصحو من نومها ، باقة من الورود الحمراء وضعتها بجوار سريرها و وردة احتضنها سريرها ؛ فتكون أول ما يدخل رئتيها هواء محمل برائحة وردة حبى لها .. ما أسعدك أيتها الوردة بشريكتك في السرير .. كل الورود تحسدك على هذا الاختيار كما سيحسدنى كل رجال فينوس على ما كنت فيه بالأمس . سأحسد عليكى بلاشك فمن لم يتمنَ أن ينام في حضن عينيكى ، ولو مرة فما بالكى بالنوم بين أحضان يديكى . أما أنا فتمنيت أن تكونى لى الأمس واليوم وغداً..لا قناعة في الحب ، هذا ما عرفته منذ عرفت معنى الحب .

حين تحب تعيش كل يوم ،وكأنه يومك الأخير في الحياة ؛ لذلك فحين يأتى الفراق يصبح العمر عمر الجسد أما الروح فيوم مماتها هو يوم الفراق ،وتعيش ما تبقى من عمرك بقايا إنسان أو نصف ميت !

رجل الشك على مر العصور هكذا قلت لنفسي وأنا أصف لحظات الفراق بينما أعيش أجمل لحظات السعادة مع فينوس .. هو الحب فحين تحب تخاف من الفراق ، وأنت في قمة نشوة الحب ، تخاف من الهجر ،وأنت في أعلى درجات الوصال .

هو الحب داء القلق .. هو الحب محرك الأعصاب . السيد على أفراحك وأحزانك .. هو القاتل والشهيد .

دخلت غرفتها بعد فترة ؛فرأيتها جالسة تداعب الوردة المختارة .. نظرت إلى نظرة حب وقالت في فرح :

- وهل ستكفى كلمة أُحبكِ لملأ المسافات ؟!

اتجهت نحو السرير ، وأخذت مكانى بجانبها وقلت :

- بل قولى وهل ستتسع المسافات لاحتواء كلمة أحبكِ ؟!
- ما أكثر ما تحبه فيّ ؟
- حين تحب شخصاً تعشق كل تفصيلة من تفصيلاته .. تحبه بلا سبب .. تحبه لأنك تحبه .
- ألا تقول ما أريد أبدًاً !

ضحكت عالياً ، وقلت :

- هكذا الرجال لا يقولون أبدًا ما تريده الإناث رغم أنه يعلم ما تريد بالظبط .
- قل ... قل ... قل.
- حسنًاً .. حسنًاً .. ماذا تريدى أن أقول ؟
- ما أكثر ما تحبه فيّ ؟
- أمممم ...أنوثة المرأة في دلالها لذلك أكثر النساء جمالاً أكثرهم دلالاً .
- والرجل ؟
- وسامة الرجل في كلماته وعقله .
- عميق في نظرتك للرجل ، وسطحى في نظرتك للمرأة ؟
- لا يا حبيبتى...نظرة الرجل للمرأة وانجذابه في أول الأمر لسحر دلالها وحركاتها ، وطريقتها في الضحك والابتسام ليس بالأمر السطحى إنما طبيعة بشرية ؛ فالرجل يقع فى شباك الإعجاب أسرع من المرأة .. الرجل ينجرف مع الحب من بدايته إلى نهايته أما المرأة ؛فتتأنى في فتح أبواب قلبها ،ولكن حين تفتحها لا تستطيع إغلاقها بعد ذلك .
- لا يقول ذلك إلا خبير بالنساء.
- على العكس يا حبيبتى ؛ فأنا ضعيف في قراءة النساء.

نظرت إلى نظرة أعرفها ،وقالت في صوت هامس يذيب العقل :

obeikandl.com

- قبلني.

كلمة كتلك حين تخرج من بين شفتى فينوس تكفى لتحريك جبال ماكسويل[3] فكيف لا تحركنى ؟!

تلاقى الشفتان ليعزفان لحن أعظم من موسيقة بيتهوفين وموزارت ... يعزفان لحن خلود الحب...في كل قبلة تنبت وردة ، وبين قبلة وقبلة تسقط نجمة .

توقفنا عن القبل ؛ فشكرت الله نجوم السماء .

- دلالك ينسينى ذاكرة الكلمات .. حضورك ينسينى كل شىء . يُذهب عقلى وروحى ؛ فيأخذهم إلى مملكة الحب ؛ حيث أنتِ وأنا ولا مكان لثالث حتى ،وإن كان ثالثنا كلمات الحب .

فينوس .. لوحة فاق حسنها أى خيال ؛ فلا تكفى ريشة دافنشى لوصف جمالك ، ولا عبقرية مايكل أنجلو لنحت تمثال يبقى شاهدًا على خلود حسنك .

إنى أرى الله في عينيكِ..نعم يا حبيبتى لقد رأيت الله في جمال عينيكى ؛ فنحن نرى الله فى الجمال.

لقد رأيت فيكى الكمال الذي طالما حلمت به في امرأة ... هل قلت امرأة ؟! عفوكِ .. أنتِ أكثر من أن تختزلى في امرأة ؛فأنتِ كل النساء .

- لا زلت لا أعرف الكثير عنكِ ؛فأنا كثير الكلام وأنت قليلة .. تسألينى عن نفسى وأجيب. أما أنتِ ؛ فلم تحدثينى بعد عن نفسك .
- ماذا تريد أن تعرف ؟
- كل شىء .. افتحى لى صندوق أحلامك وذكرياتك .
- وما سيبقى لى حين أكشف لك كل ما في صندوقي .
- أنتِ لا تحتاجين للغموض ؛ لكى أظل بقربك.
- لك ما تريد .

وفتحت لى صندوق ذكرياتها .

(3) جبال ماكسويل : أعلى سلسلة جبال على كوكب الزهرة.

«١١»

لعنة الجمال .

آسفة يا حبيبى ؛ فأنا لم أقصد أن يخيب أملك في بداية حديثى ، لكن هى الحقيقة دائمًاً ما تكون موجعة.

ورثت الجمال من أمي ؛ فقد ورثت منها العينين الرماديتين اللتان دائمًاً ما تقول إنهما تسحرانك ، كما ورثت منها شعرها الذهبي. أما أبى فقد ورثت منه رجاحة العقل والذكاء .

اثنان اجتمعا رغم كل العقبات ؛ فكنت أنا الثمرة ؛ فزواج أبى بأمى لم يكن بالأمر السهل ؛فكيف بسليلة العائلة الكبيرة صاحبة الأراضى التي لا حصر لها أن تتزوج من ابن فلاح يعمل في أراضى العائلة بالأجرة ؟ نعم يا حبيبى كنا نعانى من برجوازية اجتماعية شديدة في عصر أقل ما يوصف به بأنه أشد عصور فينوس ظلامًاً ؛ حتى حدث الانفجار العظيم المسمى بالثورة ليهدم كل تلك العقبات ،ونعيد بناء مجتمعنا كما أردنا دائمًاً .

لكن أمى تحدت أهلها وتزوجت من أبى ،وعاشت إلى يوم مماتها منبوذة من أهلها أو ما من بقى من أهلها بعد الثورة . عاشت منبوذة لأنها فضلت الحب والعقل على المال .

حين جئت أنا إلى الدنيا كان أبى في أشد الأوقات معارضة لحكم تيرانوس ،وكان يتعرض للتضييق أحيانًاً وللسجن أحيانًاً كثيرة ... عشنا أيام صعبة أنا وأمى .

لعلك يا حبيبى ستسأل ما علاقة جمالى بكل هذا ؟ والإجابة تتلخص في اسم واحد وهو أكفيلوس .

أكفيلوس هو ابن الحاكم تيرانوس الوحيد ،وقد رزق به وهو بعمر كبير تقريبًا وهو فى الأربعين من عمره لذلك ؛ فقد كان مدللاً لأقصى درجة .

حين كنت أنا في الثامنة عشر من عمرى كان هو في الخامسة والعشرين من عمره ، لكنه فتن بى رغم كل شىء .أما أنا فلا ؛فقد كان غليظ الطباع ومسرف في شرب الخمر ومعاشرة النساء ، وحين زادت مضايقاته لي وزادت مضايقات أبوه لأبى من ناحية أخرى أمرنا أبي أن نسافر بعيدًاً عن أرضنا ،وبالفعل هاجرنا مثل كثير من أهل فينوس فيما يعرف في تاريخ فينوس بالهجرة الكبرى ،ولم نعد إلا بعد تنصيب أبى رئيسًاً لفينوس ، وعندما عدت علمت أن أكفيلوس قد قُتل على يد أنفريوس طمعًاً في رضاى ،وبهذا تورط جمالى في جريمة قتل لا ذنب له فيها .. بهذا أصبح جمالي لعنة .

بعدها تودد إليّ أنفريوس ، وقصّ على ما فعله لأجلى وطلب يدى ، وبالطبع رفضت ؛ فكيف أتزوج من قاتل ؟ فهو برغم كل شىء قاتل فقد قتل نفسًا ،وإن كانت خبيثة لا بغرض رفع ظلم أو نصرة مظلوم ، بل ليفوز بقلبى ... لا تتساوى كل الوسائل المؤدية إلى هدفك ؛ فهناك دائمًاً وسيلة أفضل من البقية ولا تنخدع بالقول بأن الغاية تبرر الوسيلة ؛ فالغاية النبيلة لا تبررها أى وسيلة خبيثة والحب محال أن يأتى عن طريق الدم .

وبهذا ترى أنى لست تلك الفتاة المرفهة التي ولدت في قصر الحكم ،وحولها الخدم الساهر على راحتها ،ولكنى فتاة أينما حلت كان الشقاء في انتظارها إلى أن ظهرت أنت في حياتى ؛ فتغير كل شىء .. صارت الحياة وردية كما لم تكن من قبل .. صار العمر ضيفًاً خفيفًاً .. صارت الساعات في لقياك ثوانى .. صرت أكسر كل ساعات الرمل ؛حتى لا أعد ساعات وجودك بقربى ؛ فلا أريد لهذه اللحظات أن تنتهى ، ولا أريد شيئًاً سوى أن أظل بقربك أنت يا سيد الكلمات .. أنت حدثى السعيد يا من وهبك إله الحب لى .

حين رأيتك لأول مرة في السوق مع أنفريوس خطفنى حضورك الطاغى ،وبسمتك مع البائعين وحيويتك ونشاطك . كنت شخصًاً مجهولاً بالنسبة لى ... غريب لا أعرف عنه أى شىء إلى أن علمت قصتك ،وأنك زائر لنا جئت من أراضٍ بعيدة يطلق عليها الأرض ؛ فزاد الغموض حولك ، ولكنى غضبى عليك من رؤيتك مع أنفريوس. قد زال فقد تأكدت أنك لا تعلم شىء عما حدث فبأى حق أغضب عليك !

عذراً يا حبيبى على اضطراب ذهنى وأفكارى المشتتة ؛فكيف يركز العقل ؟وهو يروى تفاصيل انهيار أسوار القلب ، وإعلان اختراقه على يد الزائر الشاب .

نعود إلى موضوعنا .

وحين رأيتك في القصر ، وحين تحدثت إلىّ لأول مرة علمت أن بداخلك سحر لا يقاوم ؛ فقد سلبتنى طريقة حديثك كل ما تبقى من حراسة على جدران قلبى ،ولم يبقَ لى إلا تمنع الأنثى لكى تصير نيران لهفة اللقاء أقوى ،ويصير الحب أعمق ولكى أغوص في سحر أعماقك أكثر .

هى المرأة حين يتمنع عليك ظاهرها. يقول لك داخلها خذنى . حين تشيح عنك بوجهها فهى تقول لك احتضنى ، وحين تذم شفتيها تذمراً تقول لك قبلنى .

قبلنى يا حبيبى ؛حتى تصير شفتى شفاه وحتى أصير امرأة .. أعتصر أنوثتى بين أحضانك الخضراء ؛ فبلمسة من يديك أعطيت لأنوثتى الحياة .. قبل يداك كنت تمثال من عاج .. قبل شفتاك كنت آلهة مهجورة ؛حتى جاءت شفتاك ونفخت في الروح .. قبلنى .

obeikandl.com

«١٢»

" لا تقرب الحب ؛فهو سم قاتل" .

رنت تلك الجملة في أذنى ، وأنا في أحضان جنة فينوس لليوم الثانى على التوالى .. جملة صديق لى مر بتجربة ،ولم يوفق فيها ومن يومها وهو ناقم على الحب والمحبين ، وحتى على الأديان السماوية التي تدعو إلى الحب !

هو الحب قد يخلق منك وحشاً مثلما قال شكسبير .. لا يا شكسبير هو الحب يجعلك عارياً أمام نفسك لتراها كما لم ترد أن تراها . هو الحب يظهرك على حقيقتك ؛فيخلع عنك رداء البراءة والعطف ويرسل نفسك على سجيتها ؛ لترى ما لم تراه من قبل .

وإن كان الحب سمًّاً يدس لى فى العسل ؛ فأنا الآن في أحضان ملكة العسل ولا أبالى .

ما كان يؤرقنى بشدة هو ذلك المدعو أنفريوس ؛ فهل يكون هو من وراء محاولة قتلي أنا وفينوس؟ فهو لم يأتِ لزيارتى وأنا في مرضى ؛ فهل وصل به الغباء ليثبت الجريمة على نفسه ؟ من لطخت يداه بالدم مرة ؛ فما يمنعها من تكرارها مجددًا .

عادت دائرة الشك لتحتل مسرح حياتى من جديد . ألا يكفيها ما استحوذت عليها من أدوار في حياتى السابقة ؛حتى تقتحم خشبة مسرحى على فينوس ،بل وتغتصب دور البطولة !

دع عنك الشك وتخلص من آثار الليلة السابقة ؛حيث كنت تفترش أرض القمر .. لماذا أتخلص من رائحة وردة حياتى ، أقطف الوردة عار ؟!

ارتديت ثيابًا تليق بمقابلة الحاكم موليس ،وذهبت إلى حجرته فوجدته كما رأيته لأول مرة على كرسيه كأنما عاش وسيموت ،ويبعث على تلك الوضعية . لم أرَ آثار تغيير

السلطة والمنصب على موليس ، ولكن هل وصلت للقرب الكافى ؛ لكى أستطيع ملاحظة هذا الاختلاف ؟!

لم يكن من الصعب علىّ معرفة سبب طلبه لمقابلتى ؛ فوجودى ليلتين متتاليتين في غرفة فينوس كفيل بتعليقى على حبل المشنقة .لذلك فلن أجهد نفسى بالتفكير فيما سيقوله موليس ،كما أنى لم أجد في الغرفة إلا موليس فقط .مما أكد لى توقعى ، إذًا فالأمر له علاقة بفينوس .

- تحياتى أيها الحاكم .
- أهلاً يا يوسف .. تفضل بالجلوس .
- خيراً أيها الحاكم .
- فينوس .

بدأ الحاكم المباراة بالضربة القاضية . أخذ الحاكم من نابليون قدوة له بحركاته الأربع الشهيرة في الشطرنج ،وأراد إنهاء المباراة سريعًاً ؛ ليعلن وقوع شاهى فى شباك صراحته .. لم تكن ضربتك قاضية أيها الحاكم .

- أيها الحاكم . حديثى معك الآن هو حديث إلى أب لذلك سأتحدث بصراحة مثلما فعلت أنت الآن .. إنى أحب فينوس
- وماذا بعد هذا الحب ؟!
- الزواج طبعًاً .
- ألم يكن من الأفضل إذًاً ألا تستوطن سرير ابنتى إلا بعد الزواج مادام هذا ما تريده ؟!

وقعت بيدي ، قضى الحاكم على منطقى بحركة واحدة .

- معك كل الحق ، لكن ماحدث بيننا كان أقوى من أى شىء ، ولذلك فأنا أريد الزواج بفينوس .
- أنت خطر على ابنتي ؛ فبسببك كادت أن تقتل .
- بسببى أنا! إن كنت أنا السبب فمن المنقذ ؟!

obeikandl.com

- يا بنى أنا أب ،ولابد أن أخاف على ابنتى .
- أنا متأكد من ذلك ،ولكن تأكد أنى لا أستحق هذا الخوف من جانبك ،بل يستحقه آخرون كأنفريوس مثلاً .
- أنفريوس!
- نعم يا مولاى ... أعرف أنك تخاف من ذلك الغريب الذي أتى لكم من بلاد بعيدة ،والذى لا تعرفوا عنه شيء إلا ما يظهره أمامكم قوله وفعله ، لكن تأكد يا مولاى أنا هذا الغريب لم يعد غريباً بعد الآن ؛فقد وجد هنا الوطن والحب . وجد الحرية والعدالة . وجد المجتمع الذي طالما حلم به .. وطن حنون وامرأة رائعة . يا مولاى إن سألت إبنتك فستقول إنى المختار من العالمين لرعاية حدائق أزهارها ،والحارس لأسوارها والناسك فى محراب حبها .
- أتحبها ؟
- متيم بها .
- اتركنى إذاً وعد إلى بيت الحكيم ؛حتى أخذ قرارى في هذا الأمر .
- لك ذلك يا مولاى .
- حقًا ... ما بال أنفريوس !
- لا تشغل بالك يا مولاى ؛فسأتكفل أنا بذلك الأمر .. أما الآن فأنا أنتظر ردك.
- حسناً .. يمكنك الانصراف ... في رعاية الآلهة .

خرجت من حضرة الحاكم ،والأفكار تتقاذفنى من شاطىء إلى آخر .. حياة أخرى تنهار أمام عينى ؛ فما جدوى الحياة إذن ؟!

اتجهت إلى غرفة فينوس ، وسردت لها ما دار بينى وبين أبيها . تناقشنا طويلاً في أسباب والدها وفى النهاية ودعتنى بقبلة طويلة .أنستنى بها معاناتى للحظات ولتبقى على شفتى قبلة منها.. بعد القبلة احترت بين رغبتى في الجلوس أمام ركبتيك ، وبين الانحناء انتصاراً لشفتيك .

من يملك أن يحرم عابر السبيل من الارتواء بماء الحب ؟!

حتى أنت أيها الحاكم مع كل سطوتك ،ونفوذك فلن تستطيع .

عدت إلى كوخ الحكيم ؛ فاستقبلنى بحفاوة كعادته ، ورحب بى عندما قلت له إنى أتيت لأقيم عنده ، وحدثته عما كان بينى وبين الحاكم ؛ فقال لى :

يابنى . لا تقلق فأنا أعرف موليس حق المعرفة لذلك فهو لن يحول بينك وبين ابنته أبداً لو تأكد أنها تحبك ،وتريدك زوجاً لها مثلما تريد أنت . موليس يعلم إنك شاب ذو عقل وحكمة كما أنك أثبت شجاعتك عندما أنقذت فينوس من الموت المحقق ،وكدت تضحى بحياتك فى سبيل ذلك فلا تشغل بالك بقراره ،وأعلم أنه يرجو مصلحة ابنته في كل الأوقات .

شكراً لنصحك أيها الحكيم . دائماً ما يكون في كلامك راحةً لبحر نفسي الهائج . بالحق . أين أنفريوس ؟ أنا لم أره منذ صباح اليوم المشئوم.

يبدو أنه مشغول في عمله في المزرعة ؛فهو لم يعد يأتينى كل يوم كما تعود أن يفعل ، واقتصر حضوره على يومين في الأسبوع. يأتينى باحتياجاتى ويجلس معى بعض الوقت ، ثم يذهب .

سأمر عليه فى بيته ؛فأنا أريد أن أراه .

حسناً يا بنى في رعاية الآلهة .

- خرجت من كوخ الحكيم ،وأنا لا أدرى لما أقبلت على تلك الخطوة ؛ فمواجهة أنفريوس في ذلك الوقت في قواعد الشطرنج يدعى الهجوم المتهور. خطوطى الدفاعية مكشوفة ولا حامى لظهرى.
- لابأس من المحاولة هكذا قلت لنفسى ،وعزمت على ألا أكون متهوراً فى الحديث ،ولا أكشف له كل ما أملك من معلومات .
- وصلت الى بيت أنفريوس.

وهناك كانت المفاجأة!

«١٣»

جريمة .. قتل .. جزاء .. انتقام ، لم يعرف مجتمع فينوس معانى تلك الكلمات قبل اليوم ؛ ففى وقت الثورة العظيمة كان الفعل الثورى بإعدام الفاسدين عقاب ولم يكن جريمة . أما الآن فأنفريوس ملقى على الأرض بداخل بيته ، وبحر من الدماء حول جثته ، اليوم عرف شعب فينوس معنى الدنيا .. اليوم عرفوا معنى الغموض .

لا فضيلة بعد الآن ولا طهارة ؛فكيف تصبح الحياة حياة فى ظل فضيلة مطلقة ؟ كفى عيشًا في مجتمع افتراضى .. الآن وقعوا على مرسوم الدنيا فما أصبحت الدنيا دنيا إلا بعد قتل قابيل لهابيل.

حزن ... لم تكن هذه الكلمة ، وهذا الشعور جديدًا على الحكيم فقد فُقد في حياته الكثير من أحبابه ، وحزن عليهم حزنًاً شديداً .

أمضيت الأيام التى تلت مقتل أنفريوس في بيت الحكيم أرعاه ،وأشد على يديه وذهبت غير مرة إلى زوجة أنفريوس المسكينة ؛لأرى إن كانت في حاجة إلى أى شىء أستطيع أن أقدمه لها ،لكن أهل فينوس لم يتركوا لى شيئًاً لأفعله فقد فعلوا الكثير .

من وراء تلك الجريمة ؟! هذا هو السؤال الذي شغل بال أهل فينوس طيلة الأيام الماضية ،وهو محور حديثهم ؛ حتى يتم اكتشاف الجانى فهى أول جريمة بعد نشأة الدولة بنظامها الجديد وأخلاقيتها الجديدة .

أما فينوس ؛فلم أرها طيلة أسبوعين متتاليين أصبحت فيهما سريعة الغضب ومتقلبة المزاج ، وعدوانية بدرجة كبيرة . مما دفعنى إلى اليقين أنى أصبت بجنون الحب .

فهل هى بداية النهاية أم أنها نهاية البداية ؟!

جنون الحب هو داء فقدان الإحساس بالزمن ؛ فحين تصاب بجنون الحب يتوقف الزمن

عند عدم رؤية الحبيب . يتوقف كل شيء عن الحركة ... سكون تام .

حتى أنفاسك المتلاحقة المملوءة بلهفة اللقاء لا تحس بها ، وعندما ترى حبيبك مرة أخرى أو تسمع صوته تعود الكواكب للدوران . تسترد حواسك قدرتها على التمييز والإحساس ،وكأن الصوت هو نفخ الروح فى الجسد المهترئ ، والرؤية هى إعادة تشكيل جسد ذاب من لوعة الابتعاد .

" قولى أى شيء ؛ لكى أبعث حيًا".

جملة لا تنفك تذكرها وتقولها فى أحلامك وواقعك .. في قيامك وقعودك ... في مشيك وركضك .

أصبت بداء الجنون ، ولا شك في ذلك ،ولكن هل يدفعنى ذلك الجنون إلى القتل ؟!

أنفريوس دفعه جنونه إلى قتل أكفيلوس ؛ فهل سأفعل أنا الآخر مثله ؟!

إن فعلت فمن سأقتل ؟!

obeikandl.com

«١٤»

نوم طويل ، بالأمس كان نومى طويلاً ، أما في الليلة السابقة كان نومى قلق .
ما الذى يجعل نومنا طويل أو قصير ، هادئ أو مريع ؟ هو الحلم .. الحلم هو نافذة الليل على عالم الأسرار . تسبح في دنيا الخيال لتعلن أن الحياة ليست في الواقع فقط ، بل بوسعنا أن نحيا قليلا كما نريد حتى لو كان فى الحلم .
حلمت بارتداء الحب لرداء الأبدية البيضاء . حلمت بمن ملكت قلبى بين يديها . حلمت بصوتها يمر كموسيقى حفل زفاف الحب على الخلود .
صوتكِ كقيثارة أبولو يُعيد إليّ حكمتى وعقلى . عقلى الذى سُلب منه هدوءه ورزناته حين ابتعدت عنى خطاها .. حين حُرمت من نسيم عطرها .. حين مُنعت من البقاء مع حورية هبطت من سماء استعارة شاعر ، وريشة فنان .
حلمت بها تداعبني وتهدهدني وتدللنى .. أه من ملكة الدلال . حين تنعم عليك ببعض من شهد دلالها .. لم يكن حلمى خياليًاً ؛فأنا لم أحلم بالمستحيل يومًاً ، بل كان حلمى من استحلاب ذاكرتى للحظات عشتها فعلاً في جنة فينوس ،وأعدت صياغتها لتلائم مستقبلنا القريب.
أقريب هو هذا المستقبل الذي أريد ؟!
هل سيوافق موليس على زواجى من فينوس بعد مقتل المسكين أنفريوس ؟!
عقبة جديدة فى طريق الجنة ،لكن عليك لكى تصل إلى غايتك الإيمان بالممكن والكفر بالمستحيل.
استفقت من حلمى وجمعت شظايا الحلم الجميل ، ووضعتها في صندوق الذكريات السعيدة ثم جلست إلى الحكيم ،وصارحته بما قالته فينوس لى عن أنفريوس ؛ فكان

رده مفاجأة بالنسبة لى :

" أنفريوس هو يتيم الأب والأم منذ أن كان في العاشرة من عمره ؛ فتربى عند خاله تيرانوس في القصر الملكى مع ابن خاله أكفيلوس. لذلك فقد حصل كلاً منهما على نفس المقدار من التعليم ،لكن كان هناك فرق في الطباع بينهما ؛فأخلاق أكفيلوس السيئة وأفعاله المتهورة كان يقابلها هدوء وأخلاق رفيعة من جانب أنفريوس .

وعندما تم أنفريوس العشرين من عمره انفصل عن القصر ،وبنى لنفسه بيتًاً ، وعاش منفردًاً كما كان قد بدأ يقع في حب فينوس ، ومن هنا بدأت العداوة بينه وبين أكفيلوس . أحبها أنفريوس بشدة ، وحين اشتعلت الثورة قتل أكفيلوس ،وقد اعترف لى أنفريوس بذلك ، لكنه قتله بعد أن أغواه أنديموس بذلك !

نعم إنه أنديموس صاحب فكرة المحاكمات والمشانق والمقاصل .. هو أنديموس النسخة الدموية من موليس العاقل الحكيم لذلك ؛ فإن أردت أن ترى الوجه القبيح للسلطة ؛ فانظر إلى أنديموس بشكه وريبته وغروره وعدوانيته ،وإن أردت أن ترى الوجه الهادئ الحكيم المتوازن للسلطة ، فانظر إلى موليس بهدوءه وأفكاره وآراءه وعدله .

والآن فلاثنان يجتمعان في قصر واحد يتشاوران ويصدران القرارات ... فلمن النصر ؟! الطيب أم الشرير! الحكيم أم المتهور! الملاك أم الشيطان!

حتى الآن موليس ناجح في تطبيق أفكاره وخطته للنهوض بالمجتمع ،ولذلك فشكل المجتمع الجديد من صياغته هو ومن نبع ثقافته هو .. لكن هل سيبقى طويلاً ؟!

هل سيصمت أنديموس على ذلك طويلاً ؟!

أنا أترك لك يا بنى مهة إنقاذ مثالية مجتمعنا هذ ؛ا فمدينتنا الفاضلة لم تعد كذلك منذ قتل أنفريوس .

القرار لك يا ولدى ؛ فافعل ما تراه مناسبًاً. أما الآن فأنا أدعو الآلهة لترشدك إلى طريق النور بين خبايا الظلام ".

لا أيها الحكيم مدينتكم ليست فاضلة ؛ فكيف تقوم مدينة فاضلة على القتل؟ وكيف

يعامل الظالم بالظلم ؟لا أيها الحكيم مجتمعكم قام فى ظاهره على الفضيلة ،ولكن كيف يصلح بناء أساسه غير سليم ؟

لقد وضع الحكيم في يدى مفاتيح انهيار المجتمع ؛ فموليس حتى لو صدق ما سأقوله له ؛ فرد فعله لن يكون هادئاً على الإطلاق ،وأيضاً ماذا سيفعل أنديموس ليرد عليه ؟

دائرة لا متناهية الأطراف أمشى فيها ؛ فلا نقطة بداية أبدأ منها ،ولا نقطة نهاية أعود إليها .

فما الحل ؟!

لملمت شظايا إدراكى المترامى على أرض الشك والريبة ،وحاولت إعادة ترتيب أفكارى بما يليق ،وهول الحدث الذي أنا فيه ،والذى أنا مُقدم على فعله .

قررت أن أذهب إلى الحاكم موليس ، وأعرض عليه ما قاله الحكيم ، وأعرض أيضاً خطتى للتعامل مع هذا الخطر .

obeikandl.com

«١٥»

في سماء الخطيئة لا خيوط النهار تمرر ضوئها الأزرق على أحلامك النائمة ،ولا شمس النهار تداعب أشعتها البرتقالية مسام إدراكك للحقيقة الغائبة .

هذا هو العالم السفلي لا ضوء فيه ولا اختيار .. ظلام .. ظلام .

عامى الأرضى كان كالعالم السفلى ؛ فأينما ذهبت تشم في السماء رائحة الخطيئة .. خطيئة القتل ، والجهل والفقر والظلم والبغى .

على الأرض اغتيلت مثاليتى البريئة ،وعلمت أنها أصبحت بضاعة رثة لا تباع ولا تشترى ، وأن العالم لم يعد يملك من الوقت ليضيعه في التفكير بتلك الطريقة .

أما مجتمع فينوس ؛ فرأيت فيه المجتمع الأقرب للكمال ؛ فإذا ما نجحت خطتى فسيتم استئصال كل الفساد الموجود فى مجتمعنا ، ويعود المجتمع لنقائه وطهارته .

سأقوم بإصلاح الأساس الذي بنى عليه المجتمع ليصير وبحق جمهورية أفلاطون .

استأذنت الحاكم أن أرى فينوس ؛ فوافق بعد إلحاح منى ؛ فالصدر لم يعد يقوى على احتمال قلبى بين ضلوعه .

ذهبت إلى حيث توقعت أن أجدها .. ذهبت إلى الحديقة ؛فرأيتها كالفراشة بين الورود .. رأيتها تنتقى في دلال زهرتنا التي تعودت أن أهديها إياها " زهرة التوليب الحمراء " .

ذهبت إليها على أطراف أصابعى ؛ حتى لا تحس بوجودى ووقفت خلفها واحتضنتها من خلفها ، ثم همست فى أذنها : " أحبك ".

غاصت بين ذراعى ؛ فطبعت قبلة على عنقها ،وقلت لها :

- لم لا تتكلمى.
- أريد أن أسمع كل كلمة منك ،وأحس نبض قلبك بين الحرف والحرف

ويلامس خدك خدى ؛ فتملأ أنفاسك الدافئة الهواء من حولى .

استجمعت قواى وأدرتها بين يدى ؛حتى أصبح وجهها مواجهًا لوجهى ،ثم جثأت على ركبة واحدة مثل الأفلام الكلاسيكية ورفعت يدى إلى يديها ،وقلت لها :

- هل تقبلين بى زوجاً لكى ؟

لمعت عيناها فى حب ،وقالت بصوت عالٍ :

- نعم ... نعم .

وقفت على قدماى ، واحتضنتها بين يدىففغابت فى أحضانى .. قبلتها ثم قلت لها :

- أعدكِ .. أعدكِ أن تعيشى في عالم فريد من صنع يدي أنا ، ففى كل صباح ستثير رائحة قهوتنا الصباحية شعاع الشمس المتلصص على سعادتنا ، ونسيم الصباح الراعى لرائحة الحب المتدفق عبر كلامنا ، ستجدين في كل ورقة رسالة عبر الزمن. تصلح لكل وقت أصف فيها روعتك ، ستجدين في كل كتاب وصفًا لتوأم زهرة التوليب .. أنتى يا محبوبتى وزوجتى ، ستجدين في كتاباتى المكدسة على رفوف مكتبتنا المصنوعة من خشب غابة الأشواق تأريخ لحبى لكِ . لأول مرة يكتب التاريخ مهزوم ، ولكن هل انهزامى أمام عينيكى هزيمة ؟! لا إنه أجمل انتصار . أعدكِ أن أحبك إلى الأبد..ولازال في قلبى الكثير لأقوله لكِ ،لكنى سأقول :"حين قلت أعدكِ ..شدى الصوت فى سكون الألف ؛ليفتح مجرى العين على مصراعيه ويضم الدال إلى حضن الكاف ، ويطول الصوت فى يائكِ حتى يبلّغ العالمين أنى أحبكِ "

- سقط الكلام منى ؛ فحديث الحب أبكم .. لا أدرى ما أقول سوى أنى أعشق سحرك .

احتضنتها طويلاً ؛ حتى سمعت صوت يقول :

- أرجو ألا أكون قد أفسدت تلك اللحظة الساحرة

نظرت إلى مصدر الصوت ؛فإذا به أنديموس !!

«١٦»

عندما رأيت أنديموس طلبت من فينوس أن تتركنا بمفردنا ؛ففعلت ما قلت لها بدون مناقشة . أنتظرت حتى ذهبت من الحديقة ؛ فإذا بأنديموس يعاجلنى القول :

- جميلة .. أليس كذلك ؟
- وما شأنك أنت بذلك ؟
- كان عليك أن ترى أمها ؛ فقد كانت فاتنة الجمال هى الأخرى ، لكنها كانت سطحية العقل ؛ ففضلت علىّ ذلك المدعو موليس ،واتخذته زوجاً بدلاً منى .

قلت في نفسى : أينما وجد خلاف كانت الأنثى حاضرة .

أضاف أنديموس في لهجة سخرية من الماضى والحاضر :

- ذلك مدعي الحكمة والعقل .. حاكمنا العادل ... منشئ مجتمعنا الفاشل .

قاطعته فى حزم :

- كيف تقول على مجتمعكم أنه فاشل ؟ وهو فيما هو عليه من عدل ومساواة فى العيش والحرية فى التعبير.
- كذبت .. كيف تجعل عوام الناس متساوون في كل شىء ؟ لابد من وجود طبقات ؛حتى لا يختل التوازن.
- وهل لابد أيضاً من وجود الفساد والجريمة ؛ حتى لا يختل التوازن ؟
- هذه آثار جانبية لأى مجتمع علينا أن ندفع ثمنها جميعًا .
- فلماذا إذن لم توجد الجريمة إلا بسببك أنت ؟!
- ماذا تعنى ؟!
- أعنى المحاكمات الثورية والقتل الجماعى لأتباع الطاغية كل هذا كان فكرتك ،

وأيضًاً قتل أنفريوس لأكفيلوس كان بوشاية منك .

- من قال لك هذا الكلام ؟!
- لا يهم .. المهم أن هذه هى الحقيقة التي لا مهرب منها .
- الحقيقة هى أنك أصبحت تعلم أكثر مما ينبغى .
- أستحاول قتلى ثانية مثلما فعلت حين وضعت السم لى ، ولفينوس .
- لا تعطى نفسك أكبر من حجمها . فينوس كانت المقصودة وليس أنت .
- إذًا فأنت تعترف بأنك من حاول قتلنا .. ألا تخاف أن أذهب لموليس وأقول له كل شيء .
- فات الأوان ... يبدو أنك قلت له كل شيء بالفعل لذلك اسمع كلماتى الأخيرة جيدًا ، " دائمًاً كان موليس العقبة الوحيدة في حياتى ؛ فالمرأة الوحيدة التى أحببتها كانت تحبه هو وتزوجته ، وأنجبت منه ، وعندما قامت الثورة اختاره الناس ليكون حاكمًا أما أنا فاختارنى هو مستشارًاً له .. دائمًاً كنت أنا الأحق منه .. كنت أنا الأحق بالحب والملك ، ولذلك كان لابد أن يدفع الثمن ، أردت تلويثه بفكرة شنق الطاغية وأعوانه لكن الناس اعتبروه مقيم العدل على هذه الأرض ، وأنه الحكيم المنزه عن كل خطأ فرحبوا بالدم ؛ لأنه هو من أمر بذلك .. لقد اعتبروه إلهًاً كبقية الآلهة ، فكان لابد من حيلة أخرى ، وهى القتل البطئ ؛ فقررت التخلص من فينوس وعندها سيموت فى هدوء وبطء وسأكون أنا خلال ذلك المتحكم فى كل شيء ..ولكن جئت أنت وأنقذتها وذبحتنى بخيبة أملى ..لاتقلق .مضى زمن اللوم والانتقام لذلك اسمع حكمتى الأخيرة : المدينة الفاضلة لاتوجد إلا في خيال موليس السجين والمجتمع الذى حلم به وأنشأه سقط أمام العقبات التي وضعتها أنا بيدى في طريقه ..ألاتسمع ما يتحدث به الناس بعد قتلى لأنفريوس ؟! لقد بدأ الناس يسترجعون ذكريات الماضي والتحدث بها مرة أخرى .. لا خير في مجتمع كل أفراده متساوون ".

توقف أنديموس عن الكلام ، ثم رأيته يسحب سكينه فاتسعت حدقتى عينى ، وقلت فى

خوف :

- ماذا ستفعل ؟!

نظر إليّ نظرة انكسار ، وقال في إيقاع بطيء :

- إنها النهاية .

وفى لحظة عدّل وضع السكين في يده ، واحتضنت السكين أضلاعه وغاصت في أحشاؤه ؛ لتعلن عن نهاية المجنون أنديموس .

وقفت مذهولاً في مكانى من تسارع الأحداث وأمامى أنديموس جثة هامدة ،وغارق فى دماؤه .

وصل الحاكم موليس ،وهو يلهث من التعب ومعه فينوس .. يبدو أنه جاء ركضاً إلى هنا . وعندما رأى مشهد الدماء وقال فى رعب :

- ماذا حدث ؟!
- قتل نفسه .

سكت لحظة عن الكلام ،ثم أستأنفت :

- بعد أن باح لى بسره .
- هل هو ....؟!
- نعم .
- أنديموس ... أنديموس ... لماذا ؟!
- لا تتعجب ... حين يتعلق الأمر بالسلطة ؛فحتى قاطنى المدينة الفاضلة يصبحون تابعين للشيطان .
- كيف خدعنى كل تلك المدة ؟ كيف لم أعرف ما يدور بداخل قلبه ؟
- بعضنا يعيش عمره كله ،ولا يكتشف نفسه فلا تتعجب أنك لم تكتشف ما بقلب من كان يدعى أنه صديقك ؛ فقلب الإنسان هاوية ، وكما قال القديس أوغسطين:" إن البشر قد يتكلمون ، وقد تراهم بالجوارح وتسمعهم وهم يتكلمون ، لكن من منهم يمكن النفاذ إلى فكره ، ورؤية شغاف قلبه ؟!

obeikandi.com

ألست تعتقد أن في الإنسان عمقًا يصل غوره إلى حد أن يختفى حتى على مَنْ يحمله بين جوانبه ؟! "

- صدقت القول يا بنى .

نادى موليس على الحراس ، وأمرهم بحمل أنديموس وتجهيز جثته لمراسم الدفن .. ستحرق جثته كالعادة ،ومثلما فعلوا من قبل مع أنفريوس .. كما أمر بإعلان خبر موته على العامة ،وأنه مات بطريقة طبيعية ؛ فموليس حريص على عدم تقويض نظام المجتمع أكثر من ذلك وأن حادثة انتحار أنديموس قد تكون سببًاً في فك أواصر المجتمع. لذلك أمر بالتزام السرية التامة تجاه هذا الأمر .. واقتنعت بذلك .

الآن تمت تنقية المجتمع من كل ما يحيط به من فساد ، وأنفس مريضة وجريمة .. الآن زال الأساس الفاسد .. الآن بدأ المجتمع عصره الجديد .. الآن أصبحنا مدينة فاضلة .

obeikandl.com

«١٧»

دخان كثيف يتدافع كخيوط بيضاء من الماء الدافئ المحيط بى من كل الجوانب .. أستلقى فى حوض الاستحمام ؛ فيحملنى الماء كطائر تحمله الرياح أينما شاء .. أرخى رأسى إلى الوراء لتلامس حافة الحوض ،وأغمض عينى ليكتمل الاندماج .. أنا والماء كالطائر والهواء .

للماء إيقاع خفى لا يدركه إلا محبى موسيقى الصمت . تتدافع قطرات الماء قطرة قطرة كما يتدافع الإيقاع حركة حركة في أوركسترا يعزف موسيقى باخ .

أحرك يدى لأعيد ترتيب الموج ،وأفكارى فلا مكان أفضل من هنا لتفكر وتحلم .

تحسست انحناءات جسدى . لم أفقد لياقتى البدنية بعد .

أتذكر أبيات من الشعر :

وإنى أشتاق إلى ريح جيبها	****	كما أشتاق إدريس إلى جنة الخلد
يكاد حباب الماء يخدش جلدها	****	إذا اغتسلت بالماء من رقة الجلد
ولو لبست ثوبًا من الورد خالصًا	****	لخدش منها جلدها ورق الورد
يثقلها لبس الحرير للينها	****	وتشكو إلى جارتها ثقل العقد
وأرحم خديها إذا ما لحظتها	****	حِذاراً للحظ أن يؤثر فى الخد "

قيس بن ذُريح

لم أفقد ذاكرتى بعد ، أفكارى مضطربة اضطراب موج المياه المتصاعد حولى ؛ فأثار الدماء لاتزال عالقة بمخيلتى لا تفارقها .. انتحار أنديموس على مرئى ومسمع منى ،وأنا واقف فى ذهول أمامه .. صورته وهو غارق فى دماؤه لا تفارقنى .. هل كان فى إمكانى أن أمنعه أم أن في موته حياة لـالآخرين ؟ ومن أنا حتى أقرر من يستحق الموت ومن يستحق الحياة ؟! العقل يقول ألا ذنب لى فيما حدث ، وأن القدر لا يمكن تغييره .

شماعتنا البالية — هكذا قلت لنفسى — فحين نعجز نستدعى القدر ،وحين ننجح يكون الفضل لنا!.....لا تذهب بعيداً أيها العقل ريثما أنهى حديث عابر مع العاطفة!

أسمع صوت طرق على الباب يخرجنى من حالة اختلائى بنفسى ليقول الطارق : "الحاكم موليس في انتظارك ياسيدى " ؛فأرد بأن انصرف ،وبأنى في الطريق إليه .

أخرج من حوض الاستحمام ، وأقف منتشيًا رافعًا رأسى لفوق كأنها تطال السماء ،وكأنى أحد آلهة الإغريق القدامى وأقول :" أنت الأن حى " .

ارتديت ملابسى ،وانطلقت إلى غرفة الحاكم ،وهناك وجدت موليس على كرسيه — كالعادة — وبجانبه فينوس — على غير العادة — وحين رأتنى ركضت نحوى ؛ فتشابكت أيدينا واحتضنتها بعينى وليس بصدرى ؛فالعين تستطيع فعل أى شىء بنظرة .

وقفت فينوس بجوارى ،ومن ثم جاء صوت الحاكم موليس وهو يقول :

- لقد علمت أنك تقدمت لفينوس بطلب الزواج ،وقد قلت لك فيما سبق أن أمهلنى الوقت ؛ لكى أفكر أقرر ما أفعل ؟ولكن بعد ما قمت به وبعد انتحار أنديموس بالأمس ،وما علمناه بشأنه فقد وافقت على زواجك من فينوس .. كذلك أمرت بتعيينك مستشارى الأول لتحل محل أنديموس .. غدًا يوم العرس.

اضطربت مشاعرى بين السعادة والحيرة ،وانعكس على صوتى ،وأنا أقول :

- ولكن كيف ذلك وأنديموس انتحر بالأمس ؟! كيف ستقام الحفلات والأفراح ؟ وأنت لم تعلن شىء عما تورط فيه أنديموس من جرائم .
- أنت نائم منذ الأمس ولا تعلم شيئًا .. فى أثناء نومك ذهبت للحكيم ،وأخذت

مشورته في كل شيء ؛ فأشار عليّ بأن أعلن كل شيء عن خيانة أنديموس بمحاولة قتله لفينوس ، وكذلك قتله لأنفريوس ،وإعلان أنه انتحر بعد أن انكشف أمره .. وبالفعل جمعت الناس اليوم صباحًا ، وأعلمتهم بكل شيء فى حضور الحكيم بجانبى ،وأعلمتهم أيضًا بزواجك من ابنتى واستعداد أرض فينوس لاستقبال الأفراح ؛ فلا تقلق من شيء .

ابتسمت ونظرت إلى عينى فينوس ،وأخذت يدها إلى فمى لأقبلها ،وقلت لها :

- غدًا اليوم الموعود.
- حين يأتى الغد سأصبح لك إلى الأبد.

قال الحاكم موليس فى سعادة :

- بإمكانك أن تذهب الآن لتأخذ قسطًا من الراحة ؛ فغداً يوم طويل .. وأنتِ أيضًا يا فينوس .

خرجنا من القاعة أنا وفينوس ،وأيدينا متشابكة لا تستطيع التفريق بينهما .. كان القريب تلامس الأصابع ،والبعيد تلامس واندماج الأفكار والحواس ؛ فكلانا يفكر بالشيء نفسه وتشعر حواسه بالشيء نفسه ؛ فكلانا يفكر فى غدنا معًا. فى حياتنا الأبدية وحبنا الخالد خلود السماء .

وكلانا رأى الغد بعين البصيرة ،وشم رائحة ورد الحب وسمع تهامس صوت العشق ، وذاق شهد العسل المقطر من الشفتين .

لا يهمنى بأى أرض أعيش ،ولكن يهمنى كيف سأعيش؟ هكذا قلت حين سُئلت هل سترضى أن تكمل حياتك هنا على فينوس ؟ وأضفت : يولد الإنسان مرتين . مرة عند الولادة ومرة عندما يحب ، وأنا كانت ولادتى الثانية هنا ومن هنا ابتدأ عمرى .. لاعمر لى قبلك ،ولا عمر لى بعدك .

وسأكتب فى شهادة الميلاد.

المكان : الكون كله يصلح ؛لأن يكون ميلاد الحب .

الزمان : لا بداية لمن لا نهاية له .

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأخير

جمعة الحزن

obeikandl.com

obeikandl.com

إشارة

الكلمات المطبوعة بالحرف الأسود

هى أصوات لم يسمعها يوسف.

إذا مت حبًا ؛ فلا تدفنينى

وخلى ضريحى رموش الرياح

لأزرع صوتك في كل طين

وأشهر سيفك كل ساح

أحبك ، كونى صليبى

وما شئت كونى

وكالشمس ذوبى

بقلبى ... ولا ترحمينى.

محمود درويش

الجمعة

ضوء أصفر يقتحم العين بين تلاحق فتح جفون العين وإغلاقها .. أستمر في محاولة عبور المسافة بين النوم واليقظة .. أخيراً وصلت إلى نهاية الطريق . الوعى .

أفتح عينى على اتساعها فأرى! ما هذا الذى أرى ؟! أأنا في حلم أم كابوس ؟!

أين أنا ؟! أين حجرتى في القصر؟ وكيف انتقلت منها ؟! أين سريرى الدائرى؟ وأين شرفتى المطلة على نهر كالوسينى ؟ أين الكرسى المتأرجح؟ وأين مزهرية الورود ؟ أين أنا ؟!

اتسعت حدقتى عينى أكثر وأكثر . بداية اللاوعى!

متى أتت تلك الشبابيك وهذا الباب ؟ إنها ... إنها غرفتي على الأرض! كيف هذا ؟!

obeikandl.com

يتحرك باب الغرفة ؛فأصوب نظرى عليه .. أهذه أنتى يا فينوس ؟! . اكتمال اللاوعى .
لا أحد يدخل إلى الغرفة .. أين فينوس وأين موليس ؟!
أصرخ فى عنف أيــن أنـا ؟!
تتدافع الأفكار في عقلى كالموج الهائج .. سيل يفيض من رأسى ؛ فيحطم فى طريقه كل ما فى مخيلتى .. طرق برأسى لا يهدأ كدوى المدفع في ليل مظلم .. أكاد أجن ... أين أنا ؟! تتعالى الأصوات في رأسى كدوى الرصاص ؛ ليحطم ما تبقى من إدراكى .
لا ... هذا لا يحدث ... أنا لازلت على فينوس ... بالطبع لازلت على فينوس .. بداية الجنون .
فإلى أين سأذهب ؟ وأنا كنت بالأمس بالقصر نائمًا استعداداً لحفل زفافى على فينوس .
أسمع صوت قادم لا أدرى من أين ؟ أبحث يميناً ويساراً عن مصدر الصوت ؛ فلا أجد شيئاً .. يعيد القول ثانية .. لحظة كى أحسن السمع ... ماذا تقول ؟!

- أيها الطائر المحلق في سمائك العالية . عد إلى أرضك الجدباء بكل خيبة الأمل .
- من أنت ؟!
- هل نسيتنا يا يوسف ؟!
- لا ليس أنتما مرة أخرى . لقد مضى زمن لم تزورانِ فيه كنت خلاله في أسعد أيام حياتى. لا .. لن أعود للشقاء مرة أخرى .. لن أعود .
- لقد عدت بالفعل .. ألا تدرى أين أنت ؟!
- اصمت .. لا تتحدث إلىّ .. اغرب عنى ؛ فقد سئمت تلك الحياة ،ولن أقع بين براثن مخالبها مرة أخرى.
- سأتركك الآن لتدرك ما أنت فيه ، لكنى سأعود فأنا وأنت اثنان في واحد .

وسوسة أخرى وتقع في هاوية الجنون ؛ فالمسافة بينكما الآن يا يوسف صغيرة جدًا .. لن أدفعك دفعًا إليها ،بل ستذهب أنت إليها بإرادتك الكاملة . ستختار الجنون حين تكتشف أنك على الأرض .. حين تتأكد أنك عدت إلى الأرض .. ستختار الجنون كى لا تعود إلى ما كنت عليه ، وتحسرًا على ما كنت فيه .

ها قد بدأ الجنون يظهر عليك . تهز رأسك بعنف ،وتدق بها على الجدران غير مصدق لما صرت فيه . استمر .. استمر ؛ فطريق الجنون يبدأ بصدمة .

الآن قد فقدت كل قدرتك على التفرقة بين الواقع والخيال .. ما واقعك وما خيالك ؟!

أراك تذهب ،وتجيء في الغرفة كالشبح لا تهتدى إلى طريق أو مفر ... أستفعلها ؟!

كيف عادوا إليّ مرة أخرى ؟ فقد ظننت أننى قد تخلصت منهم ،ومن هواجسى إلى الأبد .. لا أريدكما مرة أخرى . لا شيطان ولا ملاك .. لا أريد سوى نفسى .. نفسى فقط .

كيف عدت إلى هنا مرة أخرى ؟ ومن أتى بى إلى هنا ؟ هل هذا حلم أم كابوس ؟! لابد أنى أحلم .

نعم أنا الآن نائم في القصر ، وبعد قليل ستأتى فينوس لتوقظنى كى لا أتأخر على ما أعددناه بالأمس من تفاصيل حفلة الزفاف .. نعم هذا هو التفسير الوحيد ،ولابد أن أخرج من هذا الكابوس المحيط بى .. لا بد .

جنون تام .. أرى على وجهك الآن يا يوسف كل علامات الجنون . بدايةً من العرق المتصبب من جبينك إلى ارتعاشة يديك إلى اتساع حدقتى عينيك .. لقد وصلت إلى مدينة الجنون فافعل بنفسك ما تريد .. لقد وصلت إلى اللاعودة .

لا أنا لست أحلم ... يا لمصيبتى فهذا ليس حلمًا .. لقد عدت إلى الشقاء مرة أخرى .لقد عدت إلى دنيا الكذب والهجر والخداع مرة أخرى .. لا لن يحدث .. لقد عدت إلى دنيا الفساد مرة أخرى .. لا لن يحدث .. لن أفرق مجتمعي الذى طهرته بيدي هناك على فينوس ، وأعيش في هذا المجتمع مرة أخرى .. لن أفارق جنة فينوس لأعيش في العذاب مع سمر مرة أخرى .. لا هجر ولا فراق. لا لن أعود .

اصمد يا عقل اصمد . ستهتدى إلى الطريق .. اصمد يا قلب اصمد ، ستعود إلى الحبيب . عقل! ألا تزال تصدق أن لك عقل في هذه اللحظة! لقد انفرط عقد العقل ،ولا سبيل إلى رجوعه . أما القلب ؛فتلقيه صدمة كهذه كفيلة بشقه إلى نصفين ،وإعلان وفاته .. افعلها الآن .

وجدتها ... ألم أقل لك يا عقل ويا قلب أن اصمد .. ها هو طريق الجنة الآن أمام بصيرتى . هاهو طريق الخلاص يقول لى تعالى إليّ ؛فأنا طريقك إلى الأبدية السعيدة .. سأذهب إلى فينوس .

الآن قد وصلت .. بالطبع ستذهب إلى فينوس ؛ فكيف سترضى بأن تعود إلى بؤس حياتك هنا مرة أخرى ؟ والآن قل كيف ستذهب ؟ هيا .. افعلها .

لقد وجدت الحل . سأذهب إلى فينوس ، وسأترك رسالتى إلى كل من يهمه أمرى وليعلموا ألا خير في حياة لا سعادة فيها ، وألا خير في أن تعيش في مجتمع ،وأنت لا ترضى على ما فيه. سأهاجر إلى فينوس .

ها أنت تتجه إلى الشرفة ،وتقف على السور .. تفتح ذراعيك ليعانق الهواء جسدك الفانى ، وروحك الخالدة .. ها أنت تبلغ رسالتك إلى الدنيا وتقول :

" واروى عنى قصة ذلك الشاب الذي غادر أهله وأصدقائه ،وأحبابه مرغمًا .. اروى عنى قصة ذلك الشاب الذي ذهب ؛ليستكشف عوالم أخرى ليست كعالمه ،وسكن بيوتًاً أخرى ليست كبيوته ، وانطوى تحت جناح ظلام غريب عليه ليس كذلك الذي تعود عليه في موطنه الأول ، اروى قصة المحب الذي لاقى هجرانًاً وجرحًاً وعذابًا ؛ فضاقت به الأرض بما رحبت حتى ظن أن لا خلاص إلا الموت ، ولكنه وجد الحب والعشق في مكان غير قريب من موطنه . وجد الاهتمام الذي طالما بحث عنه من محبوبته الأولى . وجد راحة البال وطيب العيش ، اروى عنى قصة ذلك الشاب الذي ضاق ذرعًاً بالجهل والفقر والفساد والطغيان ،وذهب يلتمس وطنًاً آخر ليس كموطنه ،وحاكم آخر ليس كحاكمه . ذهب يلتمس العدل والعلم والأمانة والحياة الكريمة . اروى عنى كيف كنت عظيم الشأن في قوم أصبحوا فيما بعد قومى ؟ كيف كنت مسموع الكلمة وموثوق النصيحة ؟ اروى عنى ولا تكل ، ولا تمل .

اروى عنى عن من التقيت بهم من أناس طيب معشرهم ،وحسنة خلقهم ومأمون جانبهم اروى عنى محبوبتى أميرتى مليكتى أجمل ما رأت عينى ، وأعذب ما سمعت أذنى ، نهر

من الطيبات يجرى بدمها وورد الريحان ينمو بوجنتيها . عبير الياسمين يخرج مع أنفاسها ، وقمر السماء يسكن مبسمها ، أين أذهب الأن ؟! أراك تسألنى يا هواء وكأنك لا تعلم . أفي الأمر من شك ؟! أنا ذاهب للقاء أحبتى . ذاهب للقاء فينوس الحبيبة على أرض فينوس الطيبة . ذاهب للقاء ،الحكيم والحاكم العادل موليس . ذاهب لاستكمال فرحة عمرى . ذاهب لاستكمال مراسم ، زفافى على آلهة الجمال فينوس. لن يقف في طريقى شيئًا ، ولن أبخل عن بذل كل طاقتى للوصول إلى هناك .

صبرًا يا فينوس فأنا في الطريق إليكِ . قد تباعدت بيننا السبل ،لكن ها أنا ذا أعد العدة للمجيء إليك ِ؛ فانتظرينى يا حبيبتى ؛ فإن لقائنا قريب ، أيها الريح احملينى كما حملتى سليمان .. يا ذراعيا حلقا بى فوق السحاب ، وانقلونى لوطنى الغائب البعيد . يا قدمى اقفزى بى عاليًا ؛ كى أطال السماء ، لن أمد حبلاً إلى السماء ،ولن أصعد الجبال .. سأطير أسمع ذلك الصوت يتكرر مرة أخرى ، وهو يقول في غل :" أيها الطائر المحلق في سمائك العالية . عد إلى أرضك الجدباء بكل خيبة الأمل" ، سترى أيها الشقى من منا سيبلغ غايته ، ومن سيكون الفشل من نصيبه ، ها هو الظهر قد أقبل يرمى أشعته الحمراء على الأرض أمنًا ودفئًا .. ها هو الظهر قد أقبل ، يفتح ذراعيه لى ،ويقول تعالى إليّ ؛ فالسماء الآن مفتوحة ذراعيها لاستقبال زائرنا العزيز ، أقبل فنحن نتحرق شوقًا في انتظارك. أنا قادم أيتها السماء ، ولكن هل تشتاق إليّ فينوس كما تشتاقون أنتم أم سلت عني وتعودت على فراقى ؟!

أتسأل! ألا تعرف أنك لو غبت العمر كله لما سلا قلبها عنك ، ولا نسيتك فأنت في القلب تسكن ، ولا من أحدًا غيرك في هذا المكان سيقيم ، لكن عليك أن تسرع الخطا ؛ حتى لا تعذبها بفراقك أكثر ؛ فأنت تعلم ما يلاقيه المحب عند فراق أحبته ، لا .... لن أطيل الفراق ... خذى بيدى يا شمس ... احملى ساقى ياريح..فأنا على هذه الأرض ... عابر سبيل"

عنوان الكتاب	تصنيف	اسم الكاتب
أريج الجذور	رواية	رامى عباس
مازالت الأشواك بجسدى	رواية	نادية البرعى
إلا الآن	م.قصصية	سهير شكرى
امرأة وحيدة أحبتنى	م.قصصية	مصطفى ثابت
رئيسًا لمدة ١٢ دقائق	م.قصصية	أسامة الحسينى
أميرة الدموع	رواية	محبوبة سلامة
بعث رُوّي	تاريخ	عادل خميس
أيُووووه يا بيسو	ساخر	قدرى نوّار
فيها لامؤاخذة حاجة حلوة	ساخر	خالد بيومى
هيدرا .. رياح الشك والريبة	تاريخ	زهير الكاشف
رفاهية الألم	فلسفة	سالم ابراهيم سالم
عالم بلا مخلِّص	فلسفة	سالم ابراهيم سالم
عريانيين عيون	شعر.ع	نور الدين الشريف
الحكاية	شعر.ع	احمد نصر
ألم واحد	شعر.ع	م.شعراء
قوللى إنت مين	شعر.ع	نادر عبد المنعم
خاطرة من الجنة	شعر.ف	يسرية سلامة
بريد الكحل واغرباء	شعر.ف	رشا زقيزق
نقوش على خرز أزرق	شعر.ف	سامح سكرمة
حجات عنيدة	شعر.ع	نور البنا
الاستنزاف التاريخى للفائض الاقتصادي	اقتصاد	محمد مدحت
نظرة	م.قصصية	نور الدين الشريف
حديث الديناصور	م.قصصية	نتاج ورشة أدبية
رحلة اليقين	فكر	محمد عبد الغنى
الحياة فى البلاط الملكى المصرى	مترجم	الفريد جوشوا باتلر
هذيان كل يوم	م.قصصية	مأمون المغازى

obeikandl.com

رامى مراد والغابات الكونية	رواية	مأمون المغازى
مكتوب	شعر	محمدحسين
شوشو والقناية	أطفال	فضل مسعود
كوكو ابوعرف دوكو	أطفال	فضل مسعود
بوتشر كلب الأسد	رواية	فضل مسعود
حنين	رواية	سهير عبد الله
كاترينا	أطفال	عبد الله لخليفلى
فورمالين	م.قصصية	شريف الغنّام
ألف نيلة ونيلة	أدب ساخر	أحمد السعيد
بين الحب والحرب	رواية	محمد عزب
انسان حكيم ناجح	تنمية بشر	خالد عمارة
وجفت البئر رسالة الى امرأة	نصوص	هانى عثمان
نوكيا	رواية	باسم سليمان
قصر غيلان	رواية	احمد بن عمارة
الأنفوشى	رواية	محمد عزام
موضوع	شعر	مصطفى فؤاد
مقامات الكيلانى	ادب ساخر	ماجد هاشم
روشتات شعرية	شعر	أحمد السعيد
الملكومانيا	أطفال	رضوى عادل
زوجات وأكروبات	م.قصصية	نادية البرعى
الأنفوشي	رواية	محمد عزام
مات حبا و عدوه انتحارا	شعر	أحمد إبراهيم
اعترفي بيا	شعر	محمود محمد حسن
رحلة فى صدر الأبدية	م.قصصية	بهاء الدين يحيى
قوارير	م.ق.ج	شيرين طلعت
سكارلت	م.ق	عمر كمال الدين

obeikandl.com

أرض رشيدة	رواية	عمر أحمد سليمان
أقفال العشق	رواية	محمد عزب
ستريتش	رواية	نضال كرم
لا تذهب للطبيب النفسى	انسانيات	وهبه نور الدين
حظر إرادة	تنمية بشرية	نهى مجدى
تغريبة بغداد	شعر فصحى	سامى طه
أسس قيام العراق	تاريخ	سامى المبارك
فاوست مصرى	مسرحية	محمد بهاء الدين
طريق الحرير	رواية	ابراهيم أحمد عيسى
مقالات الزهور	انسانيات	نور الدين الوافى
مدام خياط	رواية	سمير ذكى
سرابيل	م.ق.ج	هشام أبو سعده
قلقاس بن فرناس	رواية	عمر البدالى
استرجل واقرا ١٠ كتب	تنمية بشرية	باسم الجنوبى

obeikandl.com

obeikandl.com

رقم الايداع / 16584/ 2014ط1
الترقيم الدولى /ا- ٩٣ - ٥٣١١ - ٩٧٧ - ٩٧٨

مطبعة إبراهيم سالم - 01017180938

أحصل على نسختك من مقر الدار بخصم ٢٥٪

obeikandl.com